

الرقوة

مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراثِ البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبةِ العبّاسيّة المُقدَّسةِ
قِسمِ شُؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ - مركزِ تُراثِ البصرةِ. العدد (٣٥)
السنة الثّامنة - جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ - كانون الثاني ٢٠٢٣م



لوحة فنيّة تبين إحدى الصناعات الحِرَفيّة في البصرة
للفنّان رعد الحجّاج

كلمة العدد

كان اللهبُ يحفّزُ العلماءُ على التفكير, وكان يهدي إلى الشباب ألفَ حُلم, وعلى طاولة العالِمِ إلى جانب الأغراض الجميلة أشكالُها, إلى جنب الكُتب التي تعلَّمَ منها رويداً, كان لهبُ الشمعة يستدعي أفكاراً لا حدَّ لها، وكان يستدعي صُوراً لا متناهية، كان اللهبُ يغدو زَمَنَئذٍ لحالم بعوالمَ ظاهرة للعالم.

ولو دقّقنا النظر إلى الظلّ الساقط من ضوء الشمعة، المُضاء (بضوء المصباح الطبيعيّ)، لرأيناه أزرقَ اللون, أمّا الظلُّ السّاقطُ من ضوء النهار، فهو ظلٌّ أشدُّ خُفوتاً, ولجعله يظهر، لابد من الابتعاد عن الضوء، وما إنْ يبهت بفعل ضوء الشّمعة المتّقدة، حتّى يصبح أحمرَ.

الحقيقةُ واحدةٌ، الاختلاف في مكان الرؤية التي يُظهرُها.

• هيأة التحرير

أقرأ في هذا العدد...

٦ عضُو مجلس الإدارة، المشرفُ على قسم المعارف، يلتقي كادر مركز تراث البصرة

٨ رئيسُ قسم المعارف في زيارة نوعيّة لمركز تُراث البصرة

١٩ المُزاورةُ بين أهلِ البصرةِ مِنَ العَلاقات الاجتماعيّةِ التي نصَّ عليها أهلُ البيتِ عليهم السلام

٢٩ تأثيرُ حَركة الزُّنْج على خَراب البصرة

٤١ أمثالٌ شعبيّة

٤٨ مِن أَعلام البَصرة: جعفرُ بنُ سليمان الضّبعيّ

٥٠ كتابُ (دُرّةُ الغَوّاص في أَوْهام الخَواصّ)(٦)

٥٣ تاريخُ جُسور قَضاء المْدَيْنَة

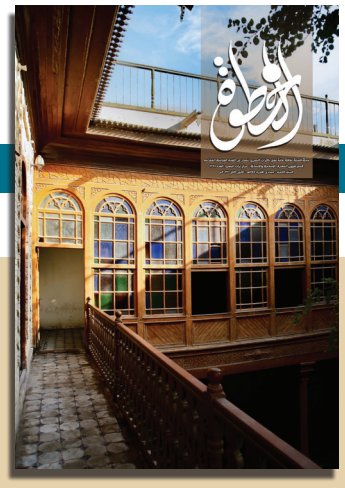
٥٧ قراءةٌ تربويّةٌ ونفسيّةٌ في نصائحِ الإمامِ السّيستانيِّ دام ظله للمقاتلين في ساحات الجهاد

٧٢ نهرُ السّرّاجي بين الماضي والحاضر

٧٧ (العَفوُ والاعتذار)، لابن الرّقّام البصريّ







مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراثِ البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبةِ العبّاسيّة المُقدَّسةِ - قِسمِ شُؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ - مركزِ تُراثِ البصرةِ. العدد (٢٥) - السنة الثّامنة.
جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ - كانون الثّاني ٢٠٢٣م

رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين ١٩٧٢

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد
(٢٠٨٧) لسنة ٢٠١٥م

المشاركون في هذا العدد

الشيخ علي الغزّي - الشيخ الدكتور محمود العيدانيّ - أ.د. شكري ناصر عبد الحسن - أ.د. محمد قاسم نعمة - د. مشتاق عيدان اعبيد - الأستاذ مسلم الشّاوي - م.د علاء حميد فيصل - الأستاذ كريم عَلّاوي - الأستاذ حسين العَطيّة - محمد مصطفى جمال الدّين - الأستاذ محمد صالح عبد الرضا - الأستاذ عادل علي عبيد - محمد البصريّ - حسين علي أيوب - مريم محمود - زهرة عبد الباري - السيد هاشم العَزّام.

الإشراف العـــام
الشّيخ عمّار الهلالي

رئيـس التحريـــر
ياسين يوسف اليوسف

مدير التحريـــر
الدكتور عامر السّعد

سكرتير التحريـــر
محمّد ثائر الزيدي

هيأة التحريـــــر
الشيخ مُدرِك الحسّون - د.أشرف عبد الحسن - عبد العزيز مسلم

الإشراف اللغـــوي
لجنة الإشراف اللغويّ في المركز

التصوير
أحمد عبد العبّاس - أمير جاسم العاشور

التصميم والإخراج الفني
محمّد شهاب العليّ

عناوين المجلة
العراق- البصرة- البراضعيّة - شارع سيّد أمين
٠٧٨٠٠٨١٦٥٧٩
basrah@alkafeel.net
ص.ب/٣٢٣

الموقع الإلكتروني
mk.iq

تنويه:

ماننشره هنا كلُّ ما يُلفت، وليس بالضرورة أن نكونَ موافقين عليه. كن شجاعاً، وأبْدِ رأيَك.

عُضْوُ مَجلس الإدارة، المشرفُ على قسم المعارف

يلتقي كادر مَركز تُراث البَصرة





اِلتقى عضو مجلس إدارة العتبة العبّاسيّة المُقدّسة، المشرف العامّ على قِسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبَّاسيَّة المُقدَّسة، سماحةُ السيِّد ليث الموسويّ (دام توفيقه)، بمنتسبي القسم المذكور من مراكز تراث البصرة والحلّة والجنوب، وجاء ذلك اللقاءُ من أجلِ الاطّلاعِ على أهم المنجزات، والاستماعِ إلى مقترحات المنتسبين، وتوجيههم ببعضِ التوجيهاتِ.

و بَيَّن سماحتُه بعض الأمورِ الإداريّةِ والفنيّةِ، مُؤكِّداً على ضرورةَ مراعاةِ أوقاتِ العملِ، واستثمارها بشكلٍ أمثل؛ لتحقيق المزيدِ من المنجزاتِ في رحابِ التُراثِ الإسلاميّ، وقد استمع الموسويّ إلى آراء المنتسبين

وأفكارهم ورؤاهم، وسجّل ملاحظاتِهم وما يتطلّعون إليه من امتيازات، ووجّههم نحو بذل المزيد من العطاء في رحاب المولى أبي الفضل العبّاس عليه السلام، وكذا وجّه إدارات المراكز بضرورة الموازنة بين التعامل الأبويّ مع المنتسبين وتطبيق التعليمات الإداريّة الصادرة عن الأمانة العامّة للعتبة المقدّسة.

واختتم سماحتُه حديثَه بنصح جميع العاملين، وحثّهم على العمل الدؤوب؛ لما يملكونه من مكانة خاصّة، وهي خدمة أبي الفضل العباس عليه السلام، وهي من أفضل النعم التي قدّمها لهم الباري عزّ وجلّ، مقدّماً الشكر لجميع الحاضرين، وداعياً لهم بالمزيد من التوفيق في عملهم.

وفي السّياق ذاته، استثمرَ وفدُ المركز وجودَه في كربلاءَ المقدّسةِ للاطّلاع على مشاريع العتبة العبّاسيّة المقدّسة، ونظَّمَ زيارةً لتلك المشاريع شملت مشاتلَ العتبة العبّاسيّة المقدّسة ومجمَّعَ الساقي (٢)، الذي يضمّ دارَ الكفيل للطباعة والنشر ومعاملَ مياه الكفيل، وكذا شملت الزيارةُ شركةَ الجود لتكنلوجيا الزراعة الحديثة، واختتمَ الوفد زيارَته الى مجموعة مشاتل الكفيل، التي تضمّ مزارعَ



النخيل والسِّدر، واستمعَ لشرح وافٍ من قبل المهندسين والمختصّين العاملين في هذه المشاريع لأهمّ المنجزات والأعمال والمشاريع المستقبليّة، والدور الكبير الذي تلبّيه من متطلّبات واحتياجات المواطنين الكرام.

والجدير بالذكر، أن هذه المشاريعَ وغيرَها ممّا تشرف العتبة العباسية المقدسة عليه، بكوادر متخصّصة تأتي لرفد الاقتصاد، ودعم المنتج المحلّي بموارد متجدّدة، وكذا لتشغيل الكثير من الأيدي العاملة في الوطن.





رئيسُ قسم المعارف

في زيارة نوعيّة لمركز تراث البصرة

ضمن زيارته التفقّدية لمراكز التراث، أجرى رئيسُ قسم المعارف الاسلاميّة والانسانيّة في العتبة العبّاسيّة المُقدَّسة، سماحةُ الشيخ عمار الهلاليّ زيارةً نوعيّةً لمركز تراث البصرة، واطّلع خلال هذه الزيارة التي استمرّت أربعةَ أيّام على مجريات الأمور في المركز وسير عمل الوحدات المختلفة العاملة فيه، وكذا اجتمع سماحتُه مع جميع المنتسبين العاملين في المركز، واستمع منهم الى بعض المعوّقات التي تواجههم في عملهم، طالبا من الجميع السعيَ الحثيثَ لخدمة التراث البصريّ، الذي يتطلّب جهداً كبيراً مضاعفا، وكذا شكر سماحته العاملين إدارةً ومنتسبين لما يقومون به من جهود متميّزة في خدمة العمل التراثيّ والثقافيّ في البصرة.

واختتم سماحته زيارته بلقاء مع مسؤولي الوحدات، ناقش فيه معهم القضايا التي تخصّ المجلّة المحكّمةَ التي يصدرها المركز، وضرورة السعي الحثيث وتذليل الصعوبات أمام إقامة المؤتمر العلميّ لتراث البصرة، الذي يعتزم المركز إقامتَه في بداية النصف الأوّل لعام ٢٠٢٤.



بجلستها الـ(١٣٦-١٣٧-١٣٨)،
مجلَّة (تُراثُ البصرةِ) المحكَّمةُ تستأنفُ اجتماعَاتها الدّوريّة



بحمدِ اللهِ تعالى، عَقدتْ هيأةُ تحرير مجلّة (تراث البصرة) المحكّمة، السّبت (١٣/ ٨/ ٢٠٢٢م)، جلستَها الدّوريّةَ الـ(١٣٦)، وذلكَ في مقرِّ المركز، وقدْ تمَّتْ مناقشة جملة من الأُمور التي تخصُّ المجلَّة، منها: متابعة البحوث الواردة الى المجلّة، وكذا تمّت مناقشة شعار وعنوان وبعض محاور المؤتمر التراثيّ المزمع إقامته عام ٢٠٢٣م من قبل مركز تراث البصرة، التابع لقسم شؤون المعارف الاسلاميّة والانسانيّة في العتبة العباسيّة المقدّسة، وتخلّلَ الجلسةَ جملةٌ مِن الآراء قدَّمها الأعضاءُ لإثراء المجلّة.

وكذا عَقدتْ هيأةُ تحرير مجلّة (تراث البصرة) المحكّمة، السّبت (١/ ١٠/ ٢٠٢٢م)، جلستها الدّوريّة الـ(١٣٧)، وذلكَ في مقرِّ المركز، وقدْ تمَّتْ مناقشة جملة من الأُمور التي تخصُّ المجلَّة، منها: متابعة البحوث الواردة الى المجلة، وتخلّلَ الجلسةَ جملةٌ مِن الآراء قدَّمها الأعضاءُ لإثراء المجلّة.

وبتأييد من الله تعالى، وبنفحات النبي الأكرم محمد (صلوات الله تعالى عليه واله)، عقدت هيأة تحرير مجلّة (تراث البصرة) المحكّمة، يوم السبت (١٥ / ١٠ / ٢٠٢٢م) الموافق ١٨/ ربيع الأول لعام ١٤٤٤هـ، اجتماعَها الدوريّ الـ (١٣٨)، وذلك في مقر المركز.

وقد تضمّن الاجتماع ثلاثةَ محاورَ، شمل المحورُ الأول منها مناقشةَ ضرورة تنويع البحوث الخاصة بالمجلّة، وتطعيمها باستقدام بحوث من خارج القطر؛ لرَفد المجلّة أكثر، وتنوّع منابعها ومواضيعها.

وأمّا المحور الثاني، فقد تمّت فيه مناقشةُ بعض الأمور الخاصّة بمشروع الملتقى الأكاديميّ للتراث البصريّ، ووضع بعضِ الأسُس المهمّة التي يعتمد عليها الملتقى.

وأمّا المحورُ الثالثُ من الاجتماع، فتناول عمليّة الاستكتاب للبحوث والمؤلّفات التراثيّة الخاصّة بمدينة البصرة، وكذا ناقش الأعضاءُ آليّة إتمام إصدار موسوعة تاريخ البصرة، وتخلّل الجلسة جملة من الآراء قدّمها الأعضاء لإثراء النشاط الفكريّ للمركز.



مركزُ تُراث البصرة يستقبلُ وفداً من (شبكة عطاء للتنمية الشاملة)

استقبلَ مركزُ تُراث البصرة، التابعُ لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، وفداً ضمَّ رئيسَ شبكة عَطاء للتنمية الشاملة، المهندس عقيل الطعّان، وكان من محاور اللقاء بحث أطر التعاون المشترك لما يخدم الحركةَ الفكريّةَ والثقافيّةَ في البصرة بما يليق بمكانتها العلميّة.

وفي ختام اللقاء، اطّلع الوفدُ الزائرُ على أنشطة المركز وأعماله ومكتبته، مبدياً سرورَه وإعجابه بما يقدّمه المركز وما يقوم به من دورٍ بارزٍ في حفظ تراث مدينة البصرة العريق.



بَعضُ المَعابر والجُسور على نهر العَشّار

معالمُ تراثيّةٌ وأَثَريّةٌ

في البصرة عددٌ كبيرٌ من المعابر والجسور على الأنهر الرئيسيّةِ لسير المركبات والسابلة، ومنها عموميّةٌ ومنها عائليّةٌ من بداية نهر العشّار حتّى نهايتِه (عند ذنائبه) وعلى ضفّتيه؛ لتربطَ محلّاتِ البصرة بعضَها بالبعض الآخر، ومنها على نهرَي العشّار والخَندَق.

جسر الأمير

نبدأ أوّلاً من جسر (الأمير) (جسر المقام – جسر الأمير)، الذي بناه الحاجُّ عبدُ الرزاق المير في سنة ١٩٤٠، وعبر على الجسر الأميرُ عبدُ الإله في عام ١٩٤١ في عهد الكيلاني في ٧ مايس ١٩٤١، عندما زار البصرة.


جسر الأمير

جسر المُتَصَرّفية القديم

بُني هذا الجسر قبل عام ١٩٢٦، وتمَّ بناءُ المتصرّفية في زمن متصرّف البصرة الأوّل، الحاجّ أحمد باشا الصانع من عام (١٩٢١ – ١٩٢٧)، وهو من الجسور العموميّة في العشّار للذهاب والإياب؛ لعبور المركبات والسابلة.


جسر المتصرفية القديم

جسر الضاحية (العبّاسيّة)

ويقع هذا الجسرُ مقابلَ دائرة البلديّةِ، ومقابلَ مَقامِ (العبّاس) سابقاً، وهو من الجسور الخاصّة (المعابر) لعبورِ السابلة فقَط، شُيِّد في عام (١٣٤٢هـ)، وكان من الجسور الخشبيّة قبل تشييده بالطابوق.

جسر الحَطّابة

ويُسمّى جسر العَبيد، وهو من المعابر القديمة في البصرة، وكان في ما مضى من الجسور الخشبيّة لعبور السابلة عليه، وهو من الجسور الصغيرة التي لا تصلح إلّا لعبور الأشخاص، والآن هو جسر المعرفيّ المؤدّي إلى جامع المعرفي بالوقت الحاضر.

جسر بيت النِّعْمَة

وهو من الجسور الخشبيّة العائليّة، المشيدة عند ذنائب نهر العشّار؛ لعبور الأشخاص فقط، ثمّ شُيِّد جسرٌ حجريٌّ بديلاً له في البيوت التراثيّة، ويقع بين جسرِ ثانويّة البنات وجسرِ حمّام الصبخة الكبيرة القديم، وهناك جسر صغيرٌ آخرُ يقع خلفَ جامع البصرة الكبير، كان بجانبه سابقاً معمل السيفون (الناملیت أبو الخرزة) في خمسينات القرن الماضي.


جسر بيت النعمة


جسر حمّام الصبخة الكبيرة

جسر الغربان

وهو من الجسور المهمّة في البصرة (جسرٌ عموميٌّ) لسير المركبات والسابلة، ويربط محلّةَ نَظْران بالمحلّات الأخرى، منها (محلّة البلوش، ومحلّة حُوش الباشا، ومحلّة البَكر والأحرار حاليّاً)، ويمتدُّ الشارعُ القديم إليه من جامع ذي المنارتين والبَراحة (براحَة الباشا)، إلى الشارع المؤدّي إلى محطّة قطار الأحمال في نَظران سابقاً، ويقابلُ منزلَ الحاجّ مصطفى طه المناصير، ويقابُل منزل المحامي (آغوب) الأرمنيّ ومتوسطة غازي سابقاً،بعد أن أُبدل اسمُها الى متوسّطة النضال في العهد الجمهوريّ، والآن اسمها مدرسة الأشبال الابتدائيّة للبنين.

جسر محلّة نَظْران

وهو آخرُ جسرٍ (مَعبَر) صغير لعبور السابلة فقط، ومن المعابر الخشبيّة آنذاك، المقامةِ على ضفّتي نهر العشّار إلى الجسور الحجريّة الآن، ويقع عليه مقام (خطوة الخضر) بمحلّة نظران، ويقابل محلَّتَي البلوش والباشا، البكر والأحرار حاليّاً، وإعداديّة البصرة للبنين، التي تأسّست في عام (١٩٢٥)، وقرب فرن صمون الحاج محسن يونس (أبو الصمون)، صاحب لوندري البصرة الحديث سابقاً، ويقابلُ منزلَ السيّد حامد النقيب (صاحب معمل المسامير) القديم في نظران، وقد تبرّع ببناء الجسر المرحومُ عبدُ المجيد السّواد (أبو عبد الله)، أحدُ أعضاء المجلس البلديّ في الخمسينات، وكذلك ساعد بتبليط شوارع محلّة نظران، ومنها شارع كنيسة الكلدان الكاثوليك في ذلك العهد.

الجسر الأحمر

وقد أُسِّسَ في بدايات الحرب العالميّة (الحرب العظمى) في عام ١٩١٧، ويربط محلّةَ الساعي من الجهة الجنوبيّة، أمّا من الجهة الشماليّة، فيربط محلّةَ الطويسة وإعداديّة التجارة للبنات، ويستمرُّ الجسرُ الى جسر ماكنة الطّحين (المطاحن)، الواقعة على نهر الرباط الكبير (الطويسة) من الجهة الجنوبيّة، وأمّا من الجهة الشماليّة، فيقعُ عليه معملا (الكوكا كولا والبيبسي كولا) سابقاً، والنادي الآثوريّ، مارّاً بمحاذاة دُور شركة نفط الجنوب، ويخترقُ مكينةَ النفط من المنطقة الجنوبيّة.

الأُسرُ العلميّةُ في المَدَيْنة (جزائر البصرة)

القسم الثاني

الباحث: مسلم عقيل الشاوي

نستكمل في هذا القسم مجموعةَ الأُسر العلميّة في المَدَيْنة (جزائر البصرة)، وهي:

- أُسرةُ آل زاير دهام

وهم من الأُسر العلميّة ذات الصِّيت الذّائع، والنّهج النّاصع، ترجعُ بنسبها إلى قبيلة بني خالد، القبيلةِ الكبيرة المنتشرة في الحويزة والعراق والحجاز، ويزعمُ البعضُ أنّها من ذرّيّة خالد بن الوليد المخزوميّ، ولبني خالدٍ شأنٌ وسمعةٌ وشهرة في الأنحاء التي ذُكِرت بها[1]؛ فهي أُسرةٌ دينيّةٌ مجاهدةٌ في إعلاء الدِّين وإقامة نواميسه وأحكامه، ولهم في تلك الرّبوع حتّى اليوم مكانةٌساميةٌ وشأنٌ رفيعٌ، واشتهروا باسم جدِّهم (زاير دهام)، وهو أوّل مَن هاجَر منهم إلى النجف، وحطَّ رحله في محلّة العمارة، ولا تزال دورُهم باقيةً حتّى اليوم، ويُقال عنه إنّه من أهل الرِّياضة والسُّلوك[2]. سكنوا المَدَيْنة -تحديداً في نهر السّبع- فقدْ حطَّ جدُّهم (دهام) رحالَه قادماً من الجزيرة العربيّة في مطلع القرن الحادي عشر، فجاوَرَ السّادة الحلو، وقدْ أخبرني الدّكتور عادل المخزوميّ بقوله: «كما يُشير آباؤنا (كبار السِّنِّ) -والعهدة عليهم- ومنذ عشرات السِّنين، فإنّ (دهام) سبق له أنْ هاجَر من الجزيرة العربيّة مطلع القرن الحادي عشر الهجريّ؛ بسبب نزاعٍ قام بينه وبين أحد الزّعماء، ممّا أدّى إلى نزوحه لجنوب العراق، وحطّ رحالَه في (المَدَيْنة) من أعمال البصرة، وكان معه صديقٌ من أُسرة آل الحلو، فأشار عليه ببيع ما عنده من الأغنام وما إليها ويشتري بها أرضاً زراعيّة ليستقرّ بها، وكذا أشار عليه بزيارة الإمام الرِّضا عليه السلام، فأخذ يلقَّب بالزّاير كما هو الحاجّ، ثُمَّ أراد الاطلاع على تعاليم أهل البيت عليهم السلام، فهاجر إلى النجف ليتعرَّف عليها من مظانِّها هناك»، وهكذا ظلَّ أبناؤه بين النجف والمَدَيْنة من أجل التعليم والتعلّم حتّى اغتصاب أرضهم[3]. ومنها ذهب الشّيخُ محمّد صالح آل زاير دهام إلى النّجف الأشرف، ومنها إلى العمارة، التي اتّخذها مركزاً مهمّاً لهداية النّاس للمذهب الجعفريّ، وقدْ خرَّجتْ هذه الأُسرة العديدَ من الرِّجال الذين خدَموا الشّريعة الغرّاء.

- أُسرةُ آل فرج الله

أُسرةٌ علميّةٌ كبيرةٌ من أُسر العِلم التي ما زال العلم فيها، ومعروفة في الأوساط العلميّة بـ(أُسرة آل فرج الله)، وهي نبعةٌ مثمرةٌ من دوحة الفضل التي اشتهر ذكرُها وذاع صيتُها، أُسرةٌ جمعت العِلمَ والتقوى والصّلاح، لها تاريخٌ حافلٌ؛ من خلال رجالها الذين ساروا في ركب العلم والعلماء؛ إذ لم تخفَ معرفتُهم ووجودُهم على كلِّ ذي لُبٍّ، اشتهروا بنسبهم إلى

جدّهم الشّيخ فرج الله ابن الشّيخ صالح ابن الشّيخ صافي ابن الشّيخ عبد النبيّ ابن الشّيخ عبد الإمام ابن الشّيخ عليّ ابن الحسين ابن الشّيخ محمّد ابن الشّيخ أحمد المتوّج[٤].

- أُسرة آل فرج الله الحلفيّ الربعيّ

وهي من الأُسر العربيّة المتجذّرة الأصول في المْدَيْنة (جزائر البصرة)، لها المكانةُ المرموقةُ والصِّيتُ الذائعُ؛ لما تميّزت به من الزّعامة الدِّينيّة والاجتماعيّة؛ فهي أُسرةٌ علميّةٌ وأدبيّةٌ إضافةً لزعامتها العشائريّة، قال عنهم الشّيخ جعفر محبوبة: «هو البيت الحاضر النجفيّ، فإنّهم يرجعون إلى قبيلة معروفة تُعرف بالأحلاف، تقطن نواحيَ البصرة من جنوب العراق من أقدم العصور، وهم غير الأحلاف القبائل السّتّة»[٥]؛ إذ تنتمي هذه الأسرة لعشيرة تُعرف بـ (حَلاف الواكي)[٦]، وهي عشيرةٌ مستقلّةٌ عن عشائر الحَلاف المتمركزة مساكنُها على ضفاف نهر عنتر وهور اصْليّن في قضاء المْدَيْنة، وعلى أثر معركة قاسية مع منصور السّعدون -جدّ عِجْمي السّعدون- حشَّدَ لها جموعاً كثيرةً، وبتأثير سلطة السّعدون ونفوذهم، نزحَ أغلبُهم إلى كرمة عليّ والهارثة، وأمّا عن استقرارهم في النجف الأشرف، فإنّ والدة الشّيخ طاهر، هي العلويّة زينب ابنة السَّيّد موسى البطّاط، قدْ كرَّست نفسَها لتربية ولدها الوحيد بعد وفاة والده الشّيخ فرج الله، فبعثت به إلى النجف الأشرف في بواكير شبابه للدّراسة والتزوّد بالمعارف الدِّينيّة والعلميّة فيها، حتّى أصبح من أفاضل العلماء وأشهر الأدباء[٧]، وكان ديوانُه من أشهر المجالس العلميّة والمنتديات الأدبيّة، وأمّا مكتبتُهم التي رعاها وزاد عليها نجلُه الشّيخ محمّد رضا، فقدْ كانت مِن أهمِّ مكتبات النّجف؛ لما تحتويه من نفائس المخطوطات والكتب.

- أُسرةُ آلِ مبارك

آلُ المبارك من البيوت العربيّة المعروفة المشهورة في النجف، وهم من عشائر الجزائر، من قبيلةٍ تُعرف بآل معبِر، ويقال: إنّها ترجع إلى أصلٍ عربيٍّ قديم (النَّخَع). اشتهروا باسم جدّهم الشّيخ مبارك، الذي هاجر من محلّة الجزائر وجاور في النجف أواسط القرن الثاني عشر، ولا تزال دارُه في محلّة الحويش معروفة مشهورة، وقدْ ذهب بالشّارع العام الذي فتح سنة (١٣٧٤هـ)، يبتدئ هذا الشّارع من باب القبلة وينتهي إلى المحلّة الجديدة، وقد عاش في هذه الدّار جلّ بيت مبارك، فأعقبَ وتناسلَ إلى أن توفّي فيها، ودُفِن في مقام هود وصالح، وأعقب ثمانيةَ أولاد، أربعة من أهل العلم، وهم: الشّيخ عليّ، والشّيخ موسى، والشّيخ محمّد، والشّيخ نعمة، وأربعة من غير أهل العلم، وهم: حبيب، وحسين، ومحمّد حسن، وعبد الله، وكلّهم أعقب، وهم جماعة كثيرةٌ منتشرة في الجزائر، وخندق البصرة، وغيرهما من الأنحاء، وقد اشتهر أفراد من هذه الأسرة بالعلم والفضل والأدب، إلّا أنّهم قليلو العدد، لم تكن لهم شهرةُ العلماء المشاهير ولا صيتُهم، بل عاشوا كغيرهم من أهل العلم المنكبّين على الكتاب والدَّرس، والمعروفين لدى جماعة من أخصَّائهم وأرحامهم[٨].

- أُسرةُ آل المظفَّر

تُعدُّ هذه الأُسرة من الأُسر العلميّة المكثرة بالعلماء الأعلام، وشجرةً مورقةً كثيرةَ الأغصان وافرةَ الثِّمار؛ فهي أُسرةٌ معروفة بالعِلم والعلماء، والأدب والأُدباء، خدمت الشّريعةَ الغرّاءَ منذ نزوح جدِّهم الشَّيخ مظفّر بن أحمد من عوالي الحجاز إلى العراق؛ إذ استقرَّ أوّلاً في جنوب غرب البصرة القديمة -الزّبير حاليّاً- في شِعب المظفّر، ثمّ هاجر إلى الجزائر في جنوب العراق، وسَكَنَ المْدَيْنة[٩]، ويرى الشّيخُ عبد الرّسول نجل الشّيخ عبد الواحد المظفّر أنّ الأسرة المظفَّريّة استوطنت أوّلاً محلّة السّيمر في مركز البصرة، ثمّ حصل بينهم وبين القبائل الأُخر نزاع، فنزحوا إلى شمال البصرة[١٠].

وتُعدُّ هذه الأُسرة من أهمّ الأُسر المعروفة بالعلم والعلماء؛ فقدْ تصدَّر بعضُ علمائها في فترة من الزّمان الزّعامة الدِّينيّة والسِّياسيّة، والحركةَ الإصلاحيّةَ في المجتمع الإسلاميّ، والشِّيعيّ على الخصوص، ورفدَ بعضُ رجالاتها الحركةَ العلميّةَ بوافر علمهم في مختلف أبواب المعرفة، حتّى برز مِن بينها كثيرٌ من المفكِّرين والفقهاء والأدباء والشّعراء[١١]، وذكرهم الشّيخ جعفر محبوبة، فقال: «بها المكانةُ السّاميةُ والشّأنُ المرموقُ بعين التبجيل والاحترام،

وهم قادةُ تلك الأنحاء وهداتهم، وأئمّةُ محاريبهم، وأربابُ فتاواهم، عنهم يأخذون مسائلَ الدِّين والسُّنن والآداب، وهي سلالةٌ علميّة بَسَقَ يانعُ فضلِها في مرابع العلم، ونما غرسُها في حَثل الفضلِ والكمال»[١٢].

- أُسرة المنصوريّ

ينتسبون إلى قبيلة بني منصور العدنانيّة، وهي من البيوتات العلميّة والأدبيّة، عُرفت في النجف في أوائل القرن الثالث عشر، وهم يرجعون إلى بني منصور، ويلتقون بالجدّ الأكبر فرج الله الحارثيّ عميد أُسرة آل فرج الله[١٣]؛ إذ هم من ذرِّيّة الشّيخ محمّد بن سليمان بن محمّد بن الحارث، المنصوريّ، الجزائريّ.

وهناك الكثير من الأُسر لم نذكرها، كالسّادة الجابريّ، وآل باليل الجزائريّ، الدّورقيّ، والسّادة البطّاط، وآل الشبيبيّ، وأغلب الأُسر التي ترجع بأصولها لجزائر البصرة، وغيرها؛ كوننا اختصرنا بحثنا هذا.

ومن خلال هذه الإحصاءات الأُسريّة للبيوتات العلميّة، نستطيع تأكيدَ أنّه لو لم يكن أهالي هذه المناطق ذوي حبٍّ شديدٍ لطلب العلم مع تشجيعهم لأبنائهم النازحين بالذّهاب إلى الحوزات العلميّة في النجف الأشرف وغيرها، لما حصل هذا الزّخم الكبير من الهجرة لطلب العلم، فضلاً عن أنّ هذه الأُسر كان جلّ اعتمادها في موارد عيشها على ما يصلُ إليها من تلك البلاد؛ بحكم الرّوابط العائليّة بين الأُسر التي تكوّنت في الحوزات ومناطقها.

الهوامش

١- الشّيخ جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ٣٠٦/٢.

٢- الشّيخ جعفر محبوبة، المصدر نفسه: ٣٠٦/٢.

٣- كما جاء في ماضي النجف وحاضرها في الحديث عن الشّيخ محمّد صالح: «وكان والده ملّاكاً في الجزائر (المدينة)، يقال: إنّ له نهرين يسمّى أحدهما شطّ حسين، والآخر نهر السّبع، تغلّب عليهما في عصره رؤساء الإمارة المسيطرون في تلك البقاع، فأعرض عنهما مغاضباً، وجاور النجف، فأخذ الإله بحقّه من هؤلاء، فلم يترك منهم نافخَ نارٍ، يُقال: إنّه تأخّر في إحدى سفراته عن النجف، فكتب له بعض أصحابه يعاتبه على ذلك، فأجابه برسالةٍ وصدَّرها بهذه الأبيات:

يـا عـاذلي ومـؤنّبي
ومفنّدي في بعد داري
رفـقـاً وقـيـت مـن
المكارهِ جنح ليلٍ أو نهار
فـارقتُ أهـلَ أحبَّتي
وسكنتُ في بيدٍ قفـار
وألفتُ آجـامَ العمـارةِ
بينَ وغوغةِ الضواري

(يُنظر: الشّيخ جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ٣١٢/٢).

٤- ذكر الشّيخ جعفر محبوبة نقلاً عن بعض رجالات الأسرة في (ماضي النجف وحاضرها): ٥٩/٣: «إنّهم ينتمون إلى أحمد بن المتوّج المشهور بالبحرانيّ»، والقسم الآخر ينسبوهم إلى أحمد بن فرج الله الجزائريّ، والثاني أصحّ كما سنذكر هذا التتبع عن نسبهم في بحثٍ آخر، إن شاء الله.

٥- جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ٦٠/٣.

٦- ترجع تسميتهم (الواكي) نسبة إلى نهر الواكي الذي يأتي من جهة الأهوار ويصبُّ في نهر عنتر.

٧- كما ذكر هذا لي الأستاذ أحمد فرج الله في أوراق بخطّه محفوظة لديَّ.

٨- جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ٢٥٩/٣.

٩- عبد الأمير المظفّر، موجز تاريخ الأسرة المظفّريّة: ص٤٨.

١٠- أعلام آل المظفّر في البصرة، طبع في الحفل التأبيني لوفاة الشّيخ محمّد حسن المظفّر في البصرة: ص٢١.

١١- المصدر السّابق: ص٥.

١٢- جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ٢٥٩/٣.

١٣- عبد النبيّ الجزائريّ، حاوي الأقوال، مقدّمة التحقيق: ص٨٦.

صَعاليك البَصرة

مالك بنُ الرّيب التميميّ

﴿القسم الثّاني﴾

د. عامر السعد

في القسم الأوّل من مقالنا (صَعاليك البَصرةِ) جرى التركيز على الحنين إلى الوطن، والتعلّق بالأرض التي عاش فيها الشّاعر، وهو ما استوحيناه من مقدّمة ميميّته التي كانت فيها مفردة (الغضى) رمزاً لتلك الصورة، وهناك جوانبُ ومضامينُ أُخر تضمّنتها تلك القصيدة، وهو ما سنسلّطُ الضوءَ فيه في هذا القسم من المقال.

إنَّ هذه المرثيّةَ وإنْ كانت قد كُتِبَتْ في مرحلة ما بعد (الصعلكة)، إلّا أنّها احتوت أبرزَ المبادئِ التي تستند إليها تلك الحركة، وأوّلها ذلك النَّفَسُ البدويُّ المتشبّعُ بالنُبْلِ والإباءِ والشّهامة والصّرامة، وهو ما يمكن أن يكون نتيجة للتأثّر بالواقع الذي عاش فيه الشّاعر في بادية بني تميم في البصرة.

لقد شكّل مالكُ بن الرَّيْب حركةً (صَعاليك البَصرةِ) في العصر الأمويّ، فكانت بمثابة إعلان الثورة على حكم بني أميّة.

إنّ ما يريدُه حكّام الظُلم والجَور هو إرغام الناس على حياة الذّلة والهوان، وهو أَمرٌ غير مستساغ عند ابن الرَّيب ومجموعتهِ التي ارتفع صوتُها بوجهِ الاستبداد.

لقد أحسَّ الشّاعِرُ أنَّ ظلماً لا مُسوّغَ له قد وقع على قبيلته (تميم) من أولئك الحكّام الظلمة؛ فالضرائبُ المفروضةُ عليها كانت أضعاف ما هو مفروضٌ على غيرها، وما يُجمَع من الأموال المخصّصة للفقراء لم يكن للفقراء من تميم نصيبٌ منها، فضلاً عن أنّ المقاتلين من بني تميم ليس لهم من العطاء من شيء.

هذه الأسباب وغيرُها دَعَتْ ابنَ الرَّيبِ إلى المواجهة والتفكير في إلحاق الأذى بأصحاب الجَور، الفعل الذي أغاظ حكّام بني أميّة، فأرسلوا عيونَهم لملاحقة ذلك الفارس والنيل منه، حتّى تمكّنوا فيما بعدُ من القبض عليه وإيداعه في سجن من سجونهم في (مكّة)، لكنَّ ذلك لم يغيّر منه شيئاً، بل زاده حقداً ونقمة على ذلك النظام الذي لا يرى فيه وجه عَدْلٍ أو إنصاف، فما إن أُطلِقَ سراحُهُ، راح يخطّط أكثر من ذي قبل للنيل من أولئك الظلمة، ومعه المجموعة التي تشكّلت في البصرة بزعامته، ممّن كانوا على درجة

عالية من الشدّة والصرامة والفتك، وهم من الأعراب سكّان البادية، ومنهم: أبو حردبة المازنيّ وغويثُ وشِظاظُ الضبّيُّ، وكانوا جميعُهم في صراع مع السلطة الحاكمة، ممّا اضطرّ العاملَ الامويَّ على المدينة، مروانَ بن الحكم – بعد أن وصلت اليه أخبارهم - إلى أن يُصدِرَ أوامرَه إلى بعض عمّاله بإلقاء القبض عليهم، وبالفعل تحقّق ذلك، وقد كُبّل أبو حردبة وبُعث به إلى مروان، وأُسنِدَ أمرُ المجموعة الأخرى ومنهم (مالك) إلى غلام، ولم يهدأ بالٌ لمالك ولم تغمض له عين؛ علّه يجدُ فرصة للفرار والخلاص، حتّى إذا أحسّ أنَّ ذلك الغلامَ قد دخل في غفلةٍ، انتزعَ منه سَيفَهُ وقتله، ثمّ لحق بحردبة وقاتلَ شَرَطةَ مروان المكلّفين بإرساله إلى المدينة، وتمكن من فكِّ قيدِ صاحبه وتخليصهِ من قبضتهم بعد قتلهم، ولم يكتف بهذا، بل استولى على أسلحتهم وإبلهم وفرَّ هو وصاحبه إلى البحرين.

هذه المواقفُ البطوليّةُ لم تكن بعيدة عن مرثيّته التي كتبها في وقت كان يشعرُ فيه أنَّ الموت باتَ وشيكا، ومن ذلك قوله: «لقدْ كنتُ قبلَ اليومِ صَعْباً قِياداً»، وقبل الخوض في المضامين التي تضمّنتها أبياتُ القصيدة، يدور في الذهن سؤال، هو: كيف ارتضى هذا الفارسُ المغمور بالعداء للأمويّين الالتحاقَ بجيش أمويٍّ كان يقودُه سعيدُ بنُ عثمان بن عفّان، الذي كان متوجّهاً إلى خراسان لقمع فتنة هناك، كما كان والياً لمعاوية فيها.

وبما أنّ المصادر والمراجع لم تُجب عن ذلك بما يفي، لكنّ ما يبدو، هو أنّ سعيداً وهو في طريقه قد صادف فارساً شجاعاً وهو بحاجة في هذا الوقت إلى مثله؛ ليشارك في الغزو والقتال، وقد أُعجبَ بهذا الفارس شكلاً ومنطقاً وثقافة، فحاول أن يؤسّس عنده قناعةً بالالتحاق بجيشه، ولا شكّ في أنّه أغراه بمالٍ كثيرٍ وربّما بمنصب مرموق.

لقد كان مالكٌ مُكرها على ذلك؛ لشدّة تعلّقه بوطنه وأهله وأحبّته، وفي الوقت نفسه كان بحاجة إلى المال، لهذا تبوح القصيدة بالنّدم على ما آل إليه أمرُه من الفراق، من ذلك قولُه:

«أحببْتُ الهَوى لمّا دعاني بِزَفْرةٍ
تَقنّعْتُ منها أن أُلامَ رِدائيا»

كذلك قوله:

«فإنْ أنْجُ من بابَيْ خُراسانَ لا أعُدْ
إليها وَإنْ منّيتموني الأمانيا»

لقد كانت هذه القصيدة آخرَ ما كتبه ابنُ الرَّيب، وهي تتضمَّن جانبين: الأول: شخصيٌّ، يخصّ الأهل والأحبّة والأصحاب، والثاني: بطوليٌّ، يصوّر فيه فروسيّتَه وشجاعتَه، وهو ما سنسلّط الضوءَ فيه؛ لأنّه يُعدّ وثيقةً تحمل المبادئَ الأساسيّةَ للصعاليك، وفي مقدّمة ذلك أدواتُ القتال التي لا بدّ منها لكلّ صعلوك؛ لحماية نفسه وتحقيق مآربه، وهي ثلاث: (السيف، والرمح، والحصان)، وقد أشارَ إليها في قصيدته بقوله:

«تذكّرْتُ مَنْ يبكي عَليّ فلمْ أجِدْ
سوى السيفِ والرّمحِ الرديني باكياً
وأشقرَ مَحبوكاً يجرُّ عنانَهُ
إلى الماءِ لم يتركْ له الموتُ ساقياً»

وإذا كان مالكٌ يمتلك حصاناً، فلا يعني أنَّ الصّعاليك يمتلكون أيضاً؛ فأغلبهم فقراءُ يعتمدون فقط على أقدامهم؛ لأنهم يمتازون - كما يقال – بالعدوِ السريع.

وقد نُعتَ الرّمحُ بالرديني تأكيداً لجودته وتميّزه؛ لأنّ هذا اللون من الرِّماح يتميَّز بطولهِ وليونته، وبسبب تلك الجودة، فقد شُبِّهت به النساء، وأمّا تسميتُه بالرديني، فنسبة إلى امرأة اسمها (رُدَيْنة) كانت تصنع الرماح في الجاهليّة.

وفي سياق الاستذكار يشير إلى الصفات التي يجب أن تدخل في تكوين شخصيّة الصُّعلوك، ومن هذه الصفات التي ذكرها ابنُ الريب في مرثيّته: سرعةُ الاستجابة إذا ما دَعت الحاجة إلى مواجهةٍ أو منازلةٍ.

إنَّ الصعلوكَ لا يكفّ عن الملاحقة حتّى لو ذهبت وأدبرتْ الخيلُ؛ فهو يتبعها ويلاحقها ملاحقة بعدَ ملاحقة، وعليه، فقد جاء التعبير بصيغة المبالغة (عَطّافاً) ليوحي بكثرة وقوع الفعل:

«وقد كُنْتُ عَطّافاً إذا الخيلُ أدبرَتْ
سَريعاً لدى الهَيجا إلى مَنْ دعانيا»

واستكمالاً لذلك، فلا بُدَّ من الصبر في ساحة الوغى؛ لأنَّ الصبر في مثل تلك المواقف هو الصمود، ولكي يؤكّد أنّ هذا الصبرَ راسخٌ فيه، فقد عبّر عنه بصيغة المبالغة أيضاً:

«وقد كُنْتُ صَبّاراً على القِرْن في الوغى
وعن شَتميَ ابنَ العمّ والجارِ وانيا»

ومثلما للصعاليك مبادئُ يستندون إليها في مواجهة من يناظرهم في الشّجاعة من الخصوم، فلهم قيمٌ يتعاملون بها مع مَنْ يرتبطون معهم بقرابة من الأهل وأبناء العمّ وأفراد القبيلة، فلا يمسّون أحداً منهم بسوءٍ أو بشَتم؛ إذ معاجمُهم هنا تكون حافلة بالمحبّة والنخوة والعون.

بعد هذا يحاول ابنُ الريب رَسمَ صورةٍ لحياة الصعلوك؛ فيبيّن أنّها حياةٌ متحرّكة لا تخلدُ إلى الراحة والقرار في أماكن النعيم بين الأهل والأحبّة ولا تجافيها طويلاً، وإنّما هو يعيش طورا في تلك الظلال والنعيم، وطوراً فوق الخيول العِتاق الأصيلة الحسنة التي ليس فيها هُجنة، وهي الخيول التي يستحسنها الفرسان العرب لأنّها طويلة، حسنة المظهر، وقويّة سريعة.

«فطَوْراً تراني في ظِـلالٍ ونـعمةٍ
وطَوْراً تراني والعِتــاقُ رِكــابيا»

إنّ ركوب هذا اللون من الخيول يهيّئ الفارسَ لخوض الحرب، التي وصفها بالرحى المستديرة لأنَّ القوم يستديرون فيها للقتال:

«ويوماً تَراني في رَحاً مستديرةٍ
تُمزِّقُ أطرافَ الرماحِ ثيابيا»

بعد هذا تنتهي حياة ذلك الفارس الشجاع الذي كان يجدُ الأرضَ الواسعة مفتوحةً أمامَهُ من غير عقبات، وإذا به اليوم يتوسّل بأصحابه أن يوسّعوا له تلك الحفرة التي سيرقدُ فيها بعد موته:

«وخُطّا بأطـرافِ الأسنّة مضجَعي
ورُدّا عـلى عيـنيَّ فَضــلَ رِدائـيا
ولا تحسِداني بــارِكَ اللهُ فيكما
من الأرضِ ذاتِ العَرضِ أن توسّعا لِيا»

وهكذا، ينتهي المشهدُ البطوليُّ لذلك الرجل الذي أقضّ مضاجعَ حكّام بني أميّة، ليودَع غريباً في قفرة لا يفارقها:

«غريبٌ بعيدُ الدارِ ثــاوٍ بقَـفْرةٍ
يَدَ الدهرِ معروفاً بأنْ لا تـدانيا»

المُزاورةُ بين أهلِ البصرةِ مِنَ العَلاقات الاجتماعيّةِ التي نصّ عليها أهلُ البيتِ (عليهم السّلام)

م. د. علاء حميد فيصل

حثّ أئمّةُ أهل البيت عليهم السلام أهلَ البَصرة على المُزاورة والتّواصل فيما بينهم، وبيّنوا لهم أثرَ ذلك، سواء أكان في الدّنيا أم في الآخرة، وهذا ما أشار إليه حديثُ الإمام الصّادق عليه السلام لأحد البصريّين: «كَمْ بينكَ وبينَ البصرة؟ قلتُ: في الماء خمسٌ إذا طابتْ الرّيحُ، وعلى الظّهر ثمانٍ ونحو ذلك، فقال: ما أقربَ هذا! تَزاوَروا، ولْيتعاهَدْ بعضُكم بعضاً؛ فإنّه لابدّ يومَ القيامة منْ أنْ يأتيَ كلُّ إنسانٍ بشاهدٍ يشهدُ له على دينه، وقال: إنَّ المسلمَ إذا رأى أخاه، كان حياةً لدينه إذا ذكر الله عزّ وجلّ».[1]

وقدْ حرصَ أهلُ البصرة على زيارة الأئمّة عليهم السلام في المَدينة على الرُّغم من بعد المسافة؛ من أجل التّبرّك بزيارتهم، وسؤالهم عن بعض الأمور الشّرعيّة، وكان الأئمّةُ عليهم السلام يستقبلونَهم في دُوْرهم، ويقدِّمون لهم الطّعامَ وواجباتِ الضّيافةِ، ويُكرمونَهم، ويُجيبون عن أسئلتهم، ويقدِّمون لهم النّصائحَ التي تُفيدهم في إصلاح أحوالهم ومجتمعهم؛ إذْ أشار ابنُ قولويه (ت٣٦٨هـ/٩٧٨م) إلى أنّ رجلاً من أهل البصرة قال: «دخلتُ المدينة، فأتيتُ أبا عبد الله عليه السّلام، فقلتُ: جُعلتُ فداك، أتيتُكَ ولمْ أَزُر قبرَ أمير المؤمنين عليه السلام، قال: بئسَ ما صنعتَ، لولا أنّك مِن شيعتنا، ما نظرتُ إليك، ألَا تزورُ مَنْ يزورُه اللهُ تعالى مع الملائكة، ويزورُه الأنبياءُ، ويزوره المؤمنون؟! قلتُ: جُعلتُ فداك، ما علمتُ ذلك، قال: فاعلم أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضلُ عند الله من الأئمّة كلِّهم، وله ثوابُ أعمالهم، وعلى قدْر أعمالهم فُضِّلوا».[2]

وذكر الصَّفّارُ (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م)، «عن مَسْمَع كَرْدين البصريّ[3]، قال: كنتُ لا أزيد على أكلةٍ في اللَّيل والنَّهار، فربّما استأذنتُ على أبي عبد الله عليه السلام، وأجدُ المائدةَ قدْ رُفعتْ، لعلِّي لا أراها بين يديه، فإذا دخلتُ، دعا بها، فأصبتُ معه من الطّعام، ولا أتأذَّى بذلك[4]».

وكان المستبصرون من أهل البصرة يتشرَّفون بلقاء الأئمّة عليهم السلام، الذين يفتحون أبواب قلوبهم ودورهم أمام الذين يتخلَّصون من التّضليل الفكريّ، الذي كان سائداً في البصرة؛ بتحريضٍ من السّلطات الحاكمة على اختلاف الحِقَب الزّمنيّة؛ فقدْ ذكر أحدُ أصحاب الأئمّة عليهم السلام: أنّه «كان يجلسُ إليَّ رجلٌ من أهل البصرة، فلَم أَزَل به حتّى دخل في هذا الأمر، قال: وكنتُ أصفُ له أبا جعفر عليه السلام، فخرجنا إلى مكّة، فلمّا قضينا النُّسُكَ، أخذنا إلى المدينة، فاستأذنّا على أبي جعفر عليه السلام، فأذِنَ لنا، فدخلنا عليه في بيتٍ منجَّدٍ»[5].

وبالمقابل، كان الأئمّة عليهم السلام يردّون الزّيارات إلى أهل البصرة، نقل ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م) عن ابن علوان: «رأيتُ في منامي كأنَّ قائلاً يقول: قدْ جاء رسول الله إلى البصرة، قلتُ: وأين نزل؟ فقيل: في حائط بني فلان...، فجئتُ الحائطَ، فوجدتُ رسولَ الله جالساً...، ثمَّ انتبهتُ، فتوضَّأتُ، وصلَّيتُ، وجئتُ إلى الحائط، فعرفتُ المكان الذي فيه رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله، فبعد ذلك سمعتُ النّاسَ يقولونَ: قدْ جاء عليُّ بن موسى الرِّضا عليه السلام، فقلتُ: أينَ نزل؟ فقيل: في حائط بني فلان، فهديتُ، فوجدتُه في الموضع الذي رأيتُ النّبيَّ فيه»[6].

الهوامش

١-الكليني، الكافي: ٣١٦/٨.

٢- كامل الزّيارات: ص ٨٩.

٣- مسمع كردين ابن مالك، من أهل البصرة، وصفه الشّيخ الطوسيّ: أنّه ثقة، يُنظر: الطوسيّ، اختيار معرفة الرِّجال، المعروف برجال الكشيّ: ٥٩٨/٢

٤- بصائر الدّرجات الكبرى في فضائل آل محمّد ص: ص١١٢.

٥- الطبرسيّ، مكارم الأخلاق: ص٨٠.

٦- مناقب آل أبي طالب: ٤٥٤/٣.



حوار مَع مديرة مَركز الإمام الحُسين عليه السلام للتّوحّد

حوار: محمّد ثائر الزيدي

من كربلاءَ المقدّسةِ إلى البصرة الفيحاءِ تمتدُّ يدُ الكرم الحسينيّ الأصيل؛ لتغدقَ بعطائِها على ثلّة ليست بالقليلة من أطفال البصرة المصابين باضطراب التّوحّد؛ لتكون سبباً بإعادة تأهيلهم حياتيّاً وأكاديميّاً، ليستعيدوا مكانتهم في المجتمع، وليشقّوا طريقَهم بأيديهم نحو النجاح، تلك هي بركات مَركز الإمام الحُسين عليه السلام للتّوحّد.

ولأجل تسليط الضوء على الجهود الجبّارة التي يبذلها هذا المركز المبارك؛ كان لكادر مجلّة الخطوة الثّقافيّة حوارٌ مع مديرة المركز؛ للتعريف بالمركز، ولبيان أبرز الإنجازات التي حقّقها على الصّعيد العمليّ في خدمة مضطربي التوحد.

في البدء، نبارك لكم هذه الجهودَ الطّيبةَ خدمةً لأطفال مدينتنا العزيزة، المصابين باضطراب التوحّد، ويهمّنا في **بداية حوارنا التعرّف على سيرتكم الذّاتية.**

اسمي انتصار رياض الحساني، خرّيجة دبلوم إدارة، انتسبتُ لمركز الإمام الحسين عليه السلام للتّوحّد منذ بداية تأسيسه عام ٢٠١٤م بعنوان مدرّبة أطفال، ثمّ دخلتُ عدّة دورات داخل العتبة الحسينيّة المقدّسة على أيدي مدرّبين ماهرين من خارج العراق، ثمّ أصبحتُ المديرَ لهذا المركز.

- حبّذا لو أطلعتِنا على بداية تأسيس هذا المركز، ولأيِّ قسمٍ من أقسام العتبة يتبع؟

بداية التأسيس كانت في عام ٢٠١٤م، وكان المركز يحتوي على أربعة صفوف، وعدد الأطفال فيه كان لا يتجاوز العشرين

طفلاً، وعدد المدرّبات كان ستّة لا غير، وأمّا اليوم، فقد أصبح عدد المدربات ثمانية عشر مدرّبة، ويحتوي المركز على تسعة صفوف، وفي كلّ صفّ ستّة أطفال، ويشرف على هؤلاء السّتّة مدربتان، وهو تابع إلى هيأة الصحة والتعليم في العتبة الحسينية المقدسة.

- ما هي الآليّة المتّبعة في التّسجيل بهذا المركز؟

في بداية الامر يتم تشخيص حالة الطفل من قبل الدكتورة المشرفة في المعهد، وبناء عليه يتمّ القبول بشرط وجود مقعد شاغر داخل المركز، فكما تعلمون، إن الطاقة الاستيعابيّة للمركز محدودة، هي عبارة عن أربعة وخمسون طفلا، ومع ذلك، فنحن الآن لدينا ثلاثة وستّين طفلاً مسجّلين، وهناك أضعاف هذا العدد في خانة الاحتياط، لذلك قررت أدارة المعهد من المباشرة بفتح الدوام المسائي قريباً ان شاء الله.

ونحن نتأسّف ونتألّم لأولياء الأمور الذين لديهم أطفال مصابين بالتّوحّد بسبب قلّة مراكز التّوحّد في محافظة البصرة، ونحن كمطّلعين نشعر بمعاناتهم، فهنالك ما يقرب من (٣٥٠) طفلا في البصرة غير مسجّلين، فهنا يأتي دور أصحاب القرار في المحافظة بإيجاد أماكن تستوعب هذه الشّريحة المظلومة.

- ما هو النظام الذي يسير عليه المركز؟ وما هي الآليّة التي يعمل بها لتحقيق الفائدة المرجوّة لمرضى التّوحّد؟

المركز يعمل بنظام التّعليم (ABA)، (ABLLS)، فكلّ صفّ من صفوف المركز يُعطي كلّ المهارات المطلوبة، وهو عبارة عن تقوية للحركات الكبرى والصّغرى، والمهارات الادراكية واللغوية، فضلا عن المهارات الحسية.





- هل هنالك مدّة محدّدة يقضيها الطّفل في هذا المركز؟

هذا الأمر يعود الى مدى استجابة الطّفل؛ ففي المرحلة الأولى يتمّ تأهيلُ الطّفل حياتيّاً من خلال التّدريب اليومي، والغاية من ذلك أنْ نجعلَ الطّفلَ يعتمد على نفسه في قضاء حوائجه الخاصّة، مثل: الأكل، والشّرب، وتغيير الملابس، وما شاكل ذلك، ومن الممكن أن يستمرّ هذا التّدريب لعدّة سنوات، فبعد اجتياز هذه المرحلة يتمّ تحويله إلى مرحلة أخرى (الصفّ الأكاديمي)، ومدّة المكوث فيه ستّة أشهر، وفي هذه الفترة يتمّ تدريب الطّفل على النّظام والانضباط، بالإضافة إلى تعليمه الحروف والأرقام، وهو ما نسمّيه بالمرحلة التّمهيديّة، ليكون الطّفل بعدها مؤهّلاً للانخراط في المدارس الاعتياديّة، ويمارس حياته بصورة طبيعيّة، حاله حال بقيّة أقرانه، كما وهناك جلسات فردية للحالات الخاصة تكون على شكل ثلاث جلسات في الاسبوع.

- ما هي المراحل التي يتنقّل بينها الطّفل في هذا المركز؟

في الشّهر الأوّل من دخول الطّفل في المركز نقوم بدراسة لكلّ مهاراته التي يجيدها، وكلّ مهارة نُجري عليها عدّة اختبارات، وبعد الاطّلاع الشّامل على حالة الطّفل، نصلُ إلى نتيجة عامّة عن حالته، فنقوم بوضع خطّة خاصّة به، وهي تكون كالخارطة التي نسير عليها في تأهيله، ولكلّ طفل في هذا المركز خطّة مستقلّة عن غيره، وحسب حالته.



- ما هي النّتيجة المرجوّة للطّفل المصاب باضطراب التّوحّد، التي يمكن الوصول إليها خلال تواجده في المركز؟

الخدمة التي يقدّمها المركز هي: تأهيل الطّفل، إمّا أكاديميّاً أو حياتيّاً، فلا يخفى عن الجميع إن اضطراب التّوحّد له عدّة مستويات، منها الخفيفة، ومنها المتوسّطة، ومنها الشّديدة، فالخفيفة يمكننا أن نؤهّلَ الطّفل فيها ونجعلَه شخصاً شبه طبيعيّاً يتمكّن من الدراسة في المدارس الأكاديميّة، ويصبح عنصراً فعّالاً في المجتمع، وأمّا الحالات المتوسّطة والشّديدة، فيمكننا أن نؤهّله حياتيّاً فقط؛ بأن يعتمد على نفسه في قضاء حوائجه الخاصّة، وفي هذا الصّدد نحبّ أن نبيّن أنَّ المركز قد أهّل لحد الآن عشرين طفلاً أكاديميّاً وسبعةٌ آخرون أهّلهم المركز حياتيّاً.

- كيف يتم التّعرّف على الطّفل المصاب بالتّوحّد؟

هناك إصابة ولاديّة وهناك إصابة تظهر بعد ثمانية عشر شهراً من الولادة، أمّا الولاديّةُ، فأغلب الآباء والأمّهات لا ينتبهون لها، وأمّا التي تظهر بعد ثمانية عشر شهراً من الولادة، فيكون تشخيصها واضحاً لدى الأبوين؛ لأن الطّفل يبدأ بفقد أغلب مهاراته التي اكتسبها، مثل: النّطق واللّعب وغيرهما.

- ما هي الأعراض التي تظهر على الطّفل المصاب باضطراب التّوحّد؟

في الحقيقة هناك عدّة أعراض إذا توفّرت في الطّفل، يمكن أن نقول عنه: إنّه مصاب بالتّوحّد، وهي: فقدان التواصل مع الاخرين وغياب التّفاعل الاجتماعيّ، وفقدان النّطق أو ضعفه، وضعف مهارة التّقليد، وضعف الإدراك والاستقبال.

- من خلال تجربتكم؛ ما الفئة الأكثر تعرّضاً للتّوحّد، الذكور أم الإناث؟

الذكور أكثر بثلاثة أضعاف من الاناث.

- هل هنالك مراكز توحّد للعتبة الحسينيّة في بقيّة المحافظات العراقيّة؟

نعم، للعتبة مراكزُ عديدة في أغلب المحافظات الجنوبيّة، ابتداءً من كربلاء المقدّسة ونزولاً إلى البصرة.

- هل شهادات العاملين في هذا المركز تتلاءم مع اختصاصاتهم الدّراسيّة، أم هي مهارة ممكن اكتسابها من خلال الدورات التّدريبيّة؟

في الحقيقة لدينا اختصاصات معنيّة وغير معنيّة؛ لأنَّ البصرة كما تعلمون لا توجد فيها دراسات جامعيّة خاصّة بالتّوحّد، ما عدا علم النّفس، وهو ليس بالاختصاص المحض، لكنّ له مدخليةً بهذا الجانب، لذلك، دأبت العتبةُ الحسينيّةُ المقدّسة على تدريب كوادر المركز من خلال إدخالهم في دورات عديدة على أيدي أساتذة من جنسيات مختلفة، وحتى من أمريكا، وهذا ما جعل كوادرَنا تكتسب من الخبرة ما يكفي للتّعامل مع جميع الحالات، والميدان العمليّ يشهد لهم بذلك.

- هل لديكم كلمة أخيرة؟

أناشد ذوي الأطفال المصابين باضطراب التّوحّد، وأقول لهم: إذا لاحظتم أنّ بعضَ أطفالكم بدأت تظهر لديهم بعض التصرّفات الغريبة غير الاعتياديّة، حاولوا أن تأخذوهم إلى الطّبيب بأسرع وقت؛ ليشخّص الحالة مبكّراً، وبصورة دقيقة، فكلّما تمّ تشخيص الحالة بصورة مبكّرة، كان ذلك أسرع للاستجابة وأسرع للشّفاء.

نتقدم بوافر الشكر لكم ولجميع العاملين في هذا المركز المبارك؛ على ما تقدّمونه من خدمة جليلة لمحافظتنا المعطاء.



الألعابُ القديمةُ في البَصرة

الأستاذ: كريم علّاوي

تكلّمنا في مقال سابق في العدد ٢٢ من المجلّة عمّا شاعَ في البصرة في الثلاثينيّات والأربعينيّات من الألعاب الشعبيّة، التي كان يؤدّيها الصِّغارُ والكبار، بشكلٍ يعكس التلاحمَ والترابط بين الأفراد -آنذاك- واستعرضنا هناك لعبةَ الدوّامات والناعور والحنبوص، وسنستعرض ههنا جملةً من هذه الألعاب الأخر التي اندثر الكثير منها.

- الكرة الجوربيّة: كانت ميزانيّة الطفل الصّغير في الماضي لا تُسعفه لشراء كرة قدم كبيرة، ولا يساعده الآباء على شراء الكرة الكبيرة؛ لأنَّ الصّغار يلعبون بها في الأزقَّة القريبة من بيوتهم، وهذا اللَّعب قدْ يؤدّي إلى إيذاء المارّة بالزقاق؛ ولهذا كان الصّغار مضطرّين إلى صنع الكرة من الجورب! إذْ يُؤتى بجوربٍ قديم ويُملأ بقطع قماش، ويُجعل على شكل كرة، ويُربط رأس الجورب بخيطٍ حتّى لا تخرج قطع القماش منه، ويُلعب بها بدلاً من الكرة.

- الطبّة لاك: في الماضي كانتْ الكرة تسمّى في مركز محافظة البصرة (طبّة)، أو (تبّة)، وفي خارج مركز المحافظة وفي الخندق تسمّى (التبها)، وبعد ذلك سمّيتْ (الطُوبة)، أمَّا اللاك، فهو المضرب، كما في (الصّقلة واللاك)، ولعبة (الطبّة لاك) في الحقيقة تمثّل لعبة (البيسبول) البصريّة، وكنَّا نلعبها في بداية الأربعينيّات في ساحة الإعداديّة المركزيّة، وطريقة اللّعب هي كالآتي:

يُرسم خطٌّ في مكانٍ ما من السّاحة طوله متران تقريباً، ويُخطُّ خطٌّ آخر طوله متران أيضاً يبعد عن الأوّل عشرين متراً تقريباً، وينقسم اللَّاعبون على قسمين، ثمّ تُجرى القرعة بينهما، فالفريق الذي يفوز بالقرعة هو الذي يبدأ اللّعب، والفريق الثاني ينتشر بالسّاحة مقابل اللَّاعب الذي سيقوم بضرب الكرة.

أحد لاعبي الفريق المبادر إلى اللَّعب يُمسك الكرة ويقابل الذي سيضرب الكرة بمسافة ثلاثة أو أربعة أمتار تقريباً، ويرميها نحوه، وهذا يضربها بالمضرب، ويرمي المضرب على الأرض ويركض مسرعاً نحو الخطّ الذي ضَرَبَ منه الكرة، فإذا وصل قبل أنْ تصل الكرة قبله تُسجّل لهم نقطة؛ لأنَّ الفريق المنتشر في السّاحة يستقبل الكرة عندما يضربها الفريق الأوّل، ويحاول مسكها ورميها باتجاه الخطّ الذي ضُربتْ منه الكرة، فإذا وصلتْ إلى الخطّ قبل اللَّاعب يخسر الفريق.

- ولّي جاك: كلمة (ولّي) تعني: اذهب بعيداً، وكلمة (جاك) تعني: قدْ أتاك، فيكون اسم اللّعبة(اذهب بعيداً، فقدْ أتاك)، وتُقام هذه اللّعبة ليلاً؛ لأنَّ فيها اختفاء، ويلعبها الصّغار في العطلة الصيفيّة؛ إذْ ينقسم اللَّاعبون على فريقين متساويين، ثمّ تُجرى القرعة بينهما، فالفائز بالقرعة هو الذي يذهب بعيداً ليختفي، ويقوم الفريق الثاني بالتفتيش عنه، فإذا تمكَّن من اكتشافه يتبدّل الموقف؛ إذْ يقوم الفريق الثاني بالاختفاء والفريق الأوّل يقوم بالتفتيش عنه، وهكذا تستمرّ اللّعبة لغاية الفترة المسموح بها للصّغار بالبقاء خارج بيوتهم.



استراتيجيّةُ المراقبة، وفاعليّةُ النّظام الرّقابيّ في فِكْرِ أميرِ المؤمنينَ عليه السّلام

دراسةٌ في كتابِه إلى واليهِ على البصرةِ (عثمان بن حُنيف)

الحلقة الثّالثة

أ. د. شكري ناصر عبد الحسن

دقّة المعلومة الاستخباريّة

الذي يُلاحَظ من نصّ الكتاب، هو أنّ هناك دقّة لا متناهية في طبيعة المعلومة الاستخباريّة التي وصلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام، لا مجرَّد إشارة أو خبر يحمل صفةَ العُموم ويحتمل الصّواب والخطأ في الوقت ذاته، أو أنّه حالة طبيعيّة اعتاد المجتمع على ملاحظتها؛ بل نجد أنّ هناك تفاصيلَ دقيقةً وإشاراتٍ عميقةً توحي بأنّ عمليّة المراقبة والمتابعة كانتْ مركّزة ومكثّفة لكلّ حركات وتصرّفات الولاة والعمّال.

إنّ مثل هكذا استراتيجيّة، تفرض علينا القول بأنّ العناصر التي أخذتْ على عاتقها هذه المسؤوليّة كانتْ عارفة بخطورتها، وما يمكن أنْ يترتّب على الخوض في غمارها، ليس من جهة احتماليّة انكشاف أمرها من الجهات التي خرقت القانون والنّظام فحسب، بل من جهة تحمُّلها عواقب إيصال المعلومة إلى الجهاز الحاكم؛ إذْ إنّ إيصال أيّ

معلومة لا تتوافر فيها شروط الدّقّة والمصداقيّة قدْ يُخلِّف نتائجَ غيرَ مرضية، خصوصاً أنّه يتعامل مع جهاز حكوميٍّ فطنٍ يتّصف بالحلم والتأنّي وعدم التسرّع في اتخاذ القرارات إلّا مع اكتمال الصّورة، فضلاً عن كون هذا الجهاز له أساليبه الخاصّة والمتنوّعة في الوصول إلى حقيقة الأمور.

ومن هنا، نجد أنّ هذه العناصر قدْ حرصتْ حرصاً شديداً على نقل الصّورة بأدقّ تفاصيلها، وهذا ما يُمكن فهمه من الألفاظ والمفردات التي وردتْ في نصّ هذا الكتاب.

ولكي نفهم طبيعة المعلومة الاستخباريّة ودقّتها، لابدّ من الوقوف على بعض المفردات التي وردتْ في هذا النصّ، الدالّة على ذلك، فتتبيَّن بعدها لنا الحكمة التي من أجلها استعمل الإمام عليه السلام هذه المفردات.

المعنى اللّغويّ والاصطلاحيّ لمفردة (بلغني)

الذي يمكن ملاحظته من العرض التفصيليّ الذي قدّمته المعاجم اللّغويّة للمعاني والدّلالات التي حملتها وتضمّنتها مفردة (بلغني)، هو: أنّ اختيار هذه المفردة من قبل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام دون غيرها من المفردات، يحمل فلسفة عميقة ودقيقة تتناسب والاستراتيجيّة الرّقابيّة التي انتهجها عليه السلام، وهذا ما يمكن الاستدلال عليه وبيانه من عدّة وجوه نبيّنها بالشّكل الآتي:

لقدْ دلَّتْ هذه المفردة بمعناها اللّغويّ والاصطلاحيّ على عدّة دلالات نذكر منها: الكفاية، الشيء الجيّد، بذل قصارى الجهد، الوصول إلى المكان، الوصول إلى الغاية، بلوغ المراد والهدف، القناعة، الوضوح، التبيّن، الزّيادة، الاشتداد، المبالغة في الشيء، التمام، نفوذ الأمر، الإيصال، الاجتهاد، الاستقصاء، الظّهور، النّضج، المنتهى، التّناهي، التكلّف، حسن البيان، الانتهاء[1].

إنّ جميع هذه المعاني تدلُّ على الكمال في الشيء، وتمامه، ووصوله إلى أعلى مراحله، مهما كان هذا الشيء، ماديّاً أو نفسيّاً أو كلاميّاً، وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأنّ عمليّة اختيار هذه المفردة دون غيرها إنّما ينطلق من قاعدة رصينة تكرّس لأهداف لها قيمتها في بيان قوّة الدّولة وفاعليّة جهازها الرّقابيّ.

إنّ استعمال هذه المفردة يُشير إلى أنّ عمليّة المراقبة وتتبّع الحدث (الخلل، أو الخرق، أو الفساد) الإداريّ، قدْ مرَّ بمراحل عديدة يمكن توصيفها بمرحلة التشخيص، ثمّ مرحلة الغربلة، ثمّ مرحلة التدقيق، ثمّ مرحلة التمحيص، حتّى وصلت إلى مرحلة التكامل والاستواء والتيقّن، لتأخذ بعد ذلك إطارها نحو طريق الإجراء الإداريّ المناسب (العقوبة).

إنّ مجموع هذه المعاني يدلّ على أنّ الدّولة (الجهاز الحاكم) قدْ أوجدتْ جهازاً رقابيّاً دقيقاً، بل في منتهى الدّقّة، يمكن الاعتماد عليه في تطبيق هذه الاستراتيجيّة الرّقابيّة.

إنّ المعاني التي دلَّت عليها هذه المفردة تُعطينا حقيقة إداريّة مهمّة جدّاً، مفادها: أنّ الجهاز الإداريّ كان على درجة عالية من الحكمة والحلم والرّشد، وأبعد ما يكون عن التسرّع أو اتّباع الأهواء والرّغبات؛ إذْ كان بإمكان الإمام › أن يستعمل مفردات أُخَر، مثل: «أخبرني، وصلني، سمعتُ، قيل لي، طرق سمعي، نقل لي، حدَّثني...»، فلها من المعاني ما يوصل المعنى إلى المتلقّي، ولكنّ هذه المفردات تحتمل وتحمل وتتحمّل أكثر من معنى ودلالة في وقت واحد؛ فهي تجمع بين الصّدق والكذب، والحقّ والباطل، والشّكّ واليقين، وهذا ما لا يتّفق مع جوهر شخصيّة أمير المؤمنين عليه السلام، الذي عُرف عنه الصّبر والتأنّي والتعقّل والقدرة على حسم الأمور بمستوى عالٍ من الحرفيّة السّياسيّة والإداريّة، ولعلّنا في حديثنا عن هذه المفردة نلمس هذه الحرفيّة بأدقّ معانيها وأجلّ صورها. يُضاف إلى ذلك، أنّ هذه المعاني إنّما هي خطوات أوّليّة لمعرفة الأخبار إلى أنْ تصل إلى مرحلة النُّضج، معنى ذلك: أنّ بلوغ الأمر إنّما هو المرحلة النّهائيّة من مراحل انتقال الخبر.

ولعلّ معنى البلاغة اصطلاحاً لا يختلف عن هذه التعريفات، ويحمل المعاني ذاتها، قال الشّريف الجرجانيّ[2]: «البلاغة في المتكلِّم: ملَكَة يُقتدر بها إلى تأليف كلام بليغ، فعُلِم أنَّ كُلَّ بليغ كلاماً كان أو متكلِّماً فصيح؛ لأنّ الفصاحة

مأخوذة في تعريف البلاغة، وليس كُلُّ فصيحٍ بليغاً»[٣].

- وفي الكلام: مطابقته لمُقتضى الحال، والمراد بالحال: الأمر الدّاعي إلى التكلّم على وجهٍ مخصوصٍ، مع فصاحته، أي: فصاحة الكلام[٤].

- وقيل: البلاغة: تُنبئ عن الوصول أو الانتهاء، يُوصف بها الكلام والمتكلِّم فقط، دون المفرد[٥].

- المعنى القرآنيّ

إذا ما رجعنا إلى القرآن الكريم، نجده قد استعمل لفظة (بلغ) ومشتقّاتها في مواضع متعدِّدة من الآيات القرآنيّة، وحمل هذا الاستعمال معاني عديدة، وفقاً لسياق الآيات القرآنيّة.

- بلوغ المبتغى

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾[٦]، فاستعمال مفردة (بلاغاً) جاء في هذه الآية للدَّلالة على أنَّ العبد يبلغ مبتغاه بالحصول على ما يرجو من الثّواب[٧]، والوصول إلى رضوان الله تعالى بالقرآن الكريم؛ لما احتواه من أُمور عباديّة تنتظم بموجبها علاقة الإنسان بالتشريعات والأحكام الشرعيّة»[٨].

- ختام الأمر

كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٩]

ذكر الشّيخ ناصر مكارم الشيرازيّ في إشارته إلى مفردة (وَمَنْ بَلَغ)، ما نصُّه: «فإنّ سعة مفهوم تعبير (وَمَنْ بَلَغ) توضِّح رسالة القرآن ونبيِّ الإسلام العالميّة من جهة، ومسألة الخاتميّة من جهةٍ أُخرى»[١٠].

والذي يُمكن فهمه من هذا التفسير: أنّ من المعاني الخفيّة لمفردة (بلغ) الواردة في هذه الآية: أنّ رسالة الإسلام التي حملها رسول اللهﷺ رسالةٌ عالميّةٌ، ولم تكن خاصّة بالمنطقة الجغرافيّة التي ظهرتْ بها، وأنّ الرّسالات السماويّة قدْ وصلتْ مرحلة البلوغ عندما خُتمت برسالة الإسلام، وهنا، قدْ يُطرح تساؤل، هو: ما الدّليل القائم على أنّ هذه الرِّسالة عالميّة مع أنّها لم تتجاوز حدود شبه الجزيرة العربيّة في زمن النّبيّﷺ؟

في جواب ذلك، نقول: نعم، إنّ رسالة الإسلام في زمن النّبيِّﷺ لم تتجاوز الحدود الجغرافيّة لشبه الجزيرة العربيّة، ولكن هذا لا يعني: أنّه مع رحيل النبيِّﷺ قدْ فقدتْ هذه الرّسالة بُعدها العالميّ، بل إنّهﷺ قدْ وضع إكمال المسيرة الإسلاميّة وتحقيق مبدأ العالميّة لهذه الرِّسالة بأيدي الخلفاء من بعده، عندما دعا الأمّة إلى اتِّباعهم، كما ورد في الحديث المرويِّ عنهﷺ: «يكونُ لهذه الأمّة اثنا عشر خليفة»[١١].

وما يعزِّزُ هذا، أنّ الأئمّة من آل محمّدﷺ قدْ ذهبوا في تفسيرهم لهذه الآية إلى تأكيد هذا المعنى، من ذلك ما روي عن الإمامين محمّد الباقر وجعفر الصّادقعليهما السلام في معنى قوله تعالى ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾، قال: «يعني: الأئمّة مِن بعده، وهم يُنذِرون النّاس»[١٢].

وعن الإمام أبي جعفر الباقرعليه السلام أنّه سُئل: «﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾، حقيقة أيِّ شيءٍ عنى بقوله: ومَنْ بَلَغَ؟ قال (الرّاوي): فقال: مَنْ بَلَغَ أنْ يكون إماماً من ذرِّيّة الأوصياء، فهو يُنذر بالقرآن كما أنذر به رسول اللهﷺ»[١٣]. وعن أبي جعفر الباقرعليه السلام «في قول الله: ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾، قال: عليٌّعليه السلام ممَّن بَلَغ»[١٤].

وذكر الطبرسيّ حديثاً يدلُّ على هذا المعنى، بقوله: «وروي عنهمعليهم السلام أنّ المعنى: وَمَنْ بَلَغَ أنْ يكونَ إماماً من آل محمَّدٍp، فهو يُنذر -أيضاً- بالقرآن»[١٥].

وخلاصة القول في هذا الشّاهد القرآنيّ، أنّ الحجّة الإلهيّة على البشر في الإنذار بالرِّسالة الإلهيّة إنّما تبلغهم عن طريق الائمّة الهداة من آل محمّدp، وهذه الحجّة الإلهيّة تتمثّل بالقرآن الكريم، ومنه يتّضح عموم رسالة النّبيِّ الخاتمﷺ لكلِّ من سمعه



منه، أو سمعه مِن غيرِهِ إلى يوم القيامة[١٦].

- كمال الشيء

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[١٧].

قال الشّيخ الطوسيّ: «أخبر الله تعالى أنّ يوسف لمّا بلغ أشدَّه، وهو كمال العقيدة والقوّة[١٨]، فإنّ الإنسان إذا ما ظهرتْ عليه علامات الشّدّة والقوّة، سواء كانت على مستوى القوى العقليّة أو الجسديّة، فإنّ جميع ذلك يُسمَّى بلوغاً، بمعنى: أنّ البلوغ إنّما هو تكامل تلك القوى في نموّها ونشاطها».[١٩]

ولعلّ السّلميّ التفت إلى هذه الحيثيّة عندما فسّر هذه الآية؛ إذْ قال: «... لمّا تكامل عقله، وصحت بصيرته، وحصلت نحيرته، وآن أوان خطابه، آتيناه حكماً بياناً في نفسه، وعلماً بما يتجدَّد عنده من موارد الزّوائد عليه من ربّه»[٢٠].

ويمكن أنْ نخرج بأهمِّ ما تضمَّنته الآيات القرآنيّة من معاني بهذا الشَّأن: «بلوغ المبتغى، الوصول، الكفاية، الختام والخاتميّة، تمام الحجّة، منتهى الشِّدَّة والقوَّة، الحكمة، العلم، التكامل، الإصابة في القول، العقل، الفهم، الانتقال،...».

وهنا لابدَّ من توضيح أمرين فيما يتعلَّق باعتماد النَّصِّ القرآني بهذا التفصيل، وهما:

الأمر الأوّل: قدْ يُطرح تساؤل: أنّه لماذا هذا التأكيد على اعتماد النّصّ القرآنيّ وتفسيراته في توضيح معنى هذه المفردة؟

الأمر الثاني: ما هو وجه الارتباط (الحيثيّات) بين الإشارات القرآنيّة، وبين مفردة (بلغني) التي استعملها أمير المؤمنين؟

وجواب ذلك:

أولاً: لا يختلف اثنان في أنّ الدّليل القرآنيّ يُعدُّ من أقوى الأدلّة لإثبات حقيقة معيَّنة أو نفيها؛ فعدم تدخّل الأيدي البشريّة في صياغة هذه النّصوص قدْ أعطاها العصمة، ما يجعل عمليّة اعتمادها بمنزلة الرُّكون إلى ملجأ آمن.

ثانياً: إنّ دقَّة المعنى بما يناسب السِّياق الوارد في النّصّ، يُعطي مساحة للباحث في الوقوف على المعنى الذي يعزِّز الأفكار التي يبحث فيها. وإنّ التوسّع في ذكر بعض المفردات في النّصّ القرآنيّ بشكل ملفت للانتباه، يحتاج إلى عمليّة تأمّل في الغايات والمقاصد التي يُراد لها أنْ تقوم، والعِلل التي تنشأ منها، والأهداف التي يُراد لها أنْ تتحقّق، ومثل هكذا أمر يُمكن وصفه بأنّه كنز من كنوز المعرفة، ومنهل من مناهل العلم، فتأتي هذه الخاصّيّة لخدمة الأفكار المطروحة، وتفتح لها آفاقاً رحبة، وتُخرجها من ضيق اللَّفظ إلى فسحة المعنى.

ثالثاً: إنّ بيان وجه الارتباط بين النَّصِّ القرآنيّ وكلام أمير المؤمنين عليه السلام لا يحتاج إلى كثير أدلّة؛ فلا خلاف في موضوع التلازم بين كلامهم وفعلهم*، والقرآن الكريم، والحديثُ مشهورٌ عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي تاركٌ فيكم الثَّقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السَّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يَفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[٢١].

ومنها -أيضاً- قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سَلُوني قبل أنْ تفقدوني، سَلُوني عن كتابِ الله، فإنَّه ليس مِن آيةٍ إلّا وقدْ عرفتُ بليلٍ نزلتْ أم بنهار، أو في سهلٍ أو في جبل...»[٢٢].

وروي عن الإمام عليِّ بن الحسين عليهما السلام، قوله: «لو مات مَن بين المشرق والمغرب لما استوحشتُ بعد أنْ يكونَ القرآنُ معي...»[٢٣].

هذه الأحاديث تُشير بشكل قطعيٍّ إلى ماهيّة العلاقة بين أهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم؛ لذا، ليس من الغريب أنْ نجد الأثر القرآنيّ واضحاً في كلامهم، وعليه، فإنّ أيّة قراءة أو دراسة لكلامهم عامّة، ولكلام أمير المؤمنين عليه السلام تحديداً، لابدَّ من أنْ تُدرس -ابتداءً- وفقاً للآيات القرآنيّة.

وإنّ كلامَهم عليهم السلام فيه من المعاني والأسرار ما لا يُدرك كنهها عقلُ بشرٍ، إلّا المعصوم ذاته؛ ولذا قيل فيه عليه السلام: «إمام الفصحاء، وسيّد البلغاء»، وفي كلامه قيل: >إنّه فوق كلام المخلوقين، ودون كلام الخالق»[٢٤].

رابعاً: إنّ المقياس لبيان جودة أيّ كلام هو أنّه يُقاس بمَن هو أعلى منه بلاغة، وليس بمَن دونه؛ لذلك، وجدنا أنّنا إذا ما أردنا أنْ نُعطي لكلام أمير المؤمنين عليه السلام حقّه من البحث الموضوعيّ، لابدَّ من اعتماد النّصّ القرآنيّ في ذلك.

خامساً: فضلاً عن ذلك، فإنّنا حاولنا أنْ نتّبع منهج استدعاء النّصّ القرآنيّ في دراسة النّصّ التاريخيّ؛ ابتعاداً عن التقليد، وابتغاءً للدِّقّة والتّأصيل.

الخاتمة

في نهاية هذه الدِّراسة، نُسجِّل مجموعة من النتائج التي أظهرتها:

أولاً- إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أوجد جهازاً رقابيّاً فاعلاً ومتطوّراً ومتعدِّدَ الأطراف؛ بغية استحكام المنظومة الرقابيّة.

ثانياً- إنّ اعتماده عليه السلام على العنصر الشّعبيّ قدْ أوجد حالة من الفاعليّة في الجانب الرّقابيّ، وتنمية الشّعور المجتمعيّ بالمسؤوليّة الشرعيّة والأخلاقيّة.

ثالثاً- إنّ وصول المجتمع إلى مستوى تقويم أداء وعمل الدّولة، يدلُّ على أنّ وراء ذلك تقف قيادة حكيمة واعية استطاعتْ بحكمتها ووعيها استجلاب أفراد المجتمع إليها وربطهم بها.

رابعاً- وضع أمير المؤمنين عليه السلام مستويات محدَّدة نجدُ من خلالها تلك النظرة العميقة والتشخيص الدّقيق، ما مكّنه مِن وضع استراتيجيّات فاعلة تناسب كلّ مستوى من مستويات التقويم.

خامساً- إنّ استعمال أمير المؤمنين عليه السلام مفردة: (بلغني) يدلُّ على أنّ عمليّة المراقبة قدْ مرَّتْ بعدّة مراحل: غربلة، تدقيق، تمحيص، حتّى وصلت إلى مرحلة التكامل والاستواء.

سادساً-كثرة المعاني التي دلَّتْ عليها مفردة (بلغني) الواردة في النّصوص القرآنيّة، تدلُّ على الدِّقّة العالية واللا متناهية عند أمير المؤمنين عليه السلام في اختياره لهذه المفردة دون غيرها.

الهوامش

١- الفراهيديّ، كتاب العين: ص٨٨، مادّة (بلغ)؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة: ص١٣٧، مادّة (بلغ)؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ص٦٩-٧٠.

٢- كتاب التعريفات: ص٣٧ - ٣٨.

٣- كتاب التعريفات: ص٣٧ - ٣٨.

٤- كتاب التعريفات: ص٣٧ - ٣٨.

٥- كتاب التعريفات: ص٣٧ - ٣٨.

٦- سورة الأنبياء، الآية (١٠٦).

٧- يُنظر: تفسير الثعلبيّ: ٣١٣/٦.

٨- الطبريّ: ١٣٩/١٧؛ الشيخ الطوسيّ، التبيان: ٢٨٤/٧-٢٨٥.

٩- سورة الأنعام، الآية (١٩).

١٠- تفسير الأمثل: ٢٧٩/١٣.

١١- أحمد بن حنبل، المسند: ١٠٦/٥.

١٢- العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ: ٣٥٦/١.

١٣- العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ: ٣٥٦/١؛ يُنظر كذلك: الفيض الكاشانيّ، التفسير الصّافي: ١١٢/٢.

١٤- العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ: ٣٥٦/١.

١٥- تفسير جوامع الجامع: ٥٥٨/١؛ يُنظر كذلك: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٤٨٦/٣.

١٦- يُنظر: الطباطبائيّ، الميزان: ٣٩/٧.

١٧- سورة يوسف، الآية (٢٢).

١٨- يُنظر: البيان: ١١٧/٦.

١٩- معاني القرآن: ٤٠٩/٣.

٢٠- تفسير السّلميّ: ١٠١/٢.

٢١- أحمد بن حنبل، المسند: ١٤/٣؛ السرخسيّ، المبسوط: ٦٩/١٦، الشّوكانيّ، نيل الأوطار: ٣٢٨/٢.

٢٢- العيّاشيّ، تفسير: ٢٨٣/٢؛ البلاذريّ، أنساب الأشراف: ص٩٩؛ أبو اللّيث السّمرقنديّ، تفسير: ٣٢٤/٣.

٢٣- الكليني، الكافي: ٦٠٢/٢.

٢٤- كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ١٦/١.

تأثيرُ حَركة الزُّنْج على خراب البصرة

حسين عليّ أيّوب

الامتيازاتُ الكثيرةُ التي تميّزت بها مدينة البصرة عن سائر أمصار الدّولة الإسلاميّة آنذاك، جعل منها محطَّ انطلاقِ أغلبِ الحركات المناوئة للسّلطة الحاكمة، سواء أكانت هذه الحركات معتدلةً، أم متطرّفة.

ونحنُ لسنا هنا بصدد بيان تلك الامتيازات التي اختصّت بها مدينةُ البصرة، ولا بصدد بيان شرعيّة تلك الثّورات والحركات أو عدم شرعيّتها، بل الهدف تسليط الضّوء على آثارها وما خلّفته من خراب البَصرة.

وسنتناول في هذه الوريقات القليلة بصورة مختصرة تأثير واحدة من هذه الحركات وهي حركة الزُّنج على خراب البصرة.

تُعدُّ حركة الزّنج من أخطر الأزمات وأكبر التحدّيات التي واجهت الدّولة العباسيّة؛ فقد دامت أكثر من أربعة عشر سنة؛ إذ بدأت في سنة (٢٥٥) وانتهت سنة (٢٧٠) للهجرة الشريفة، ودارت جلُّ تحرُّكاتِها وحروبِها وتمويلها الاجتماعيّ والاقتصاديّ والعسكريّ في مدينة البصرة.

منذُ انطلاق الحركة، تعرّضَت المدينةُ إلى خطرٍ كبيرٍ، وقد قاوم أهلُها في البداية صاحبَ الزّنج، ولكن، بعدما قويَ على أمره، عجزوا عن قتاله، وكتبوا إلى الحاكم (المهتدي بالله) بما حدث[١]، ثمَّ اتّسعت فتوحاتُ الزّنج، وضربوا الحصارَ على البصرة، حتّى دخلوها سنة (٢٥٧)[٢]، وقتلوا بها خلقًا كثيراً، حتّى قيل: إنّ أصواتَ النّاس الذين قُتلوا ارتفعت بالتشهُّد[٣]، وعلّق عن هذا الأمر الذهبيُّ، فقال: وفيها دخلت الزّنجُ البصرة، وبذلوا السّيفَ، واستباحوا وقتلوا بالأبُلّة نحواً من ثلاثين ألفاً، وأحرقوها، فحاربهم سعيدُ الحاجبُ، واستخلصُ منهم كثيراً ممّا أخذوه، ثمّ استظهروا عليه، وقتلوا من جنده مقتلةً عظيمةً، ودخلوا البصرةً، فيقال: إنّهم قتلوا بها اثني عَشَر ألفا، وخرّبوا الجامعَ، وهرَبَ من سلِمَ في البُلدان، وخربت البصرة[٤].

نُلاحظ من النّصوص أعلاه الكمَّ الهّائلَ من الوحشيّة والخراب الذي عمَّ البصرة؛ فإنّهم لم يستثنوا في وحشيّتهم أحداً من النّاس، فلم يُفرّقوا بين الكبير والصّغير، والعالم



والجاهل، والذّكر والأُنثى، فعمَّ القتلُ والنّهبُ والإحراقُ، وقتلوا كلَّ مَن رأوه بها[٥].

وقد صوّر الشّاعرُ ابنُ الرّوميّ دخولَ الزّنج إلى البصرة، فقال[٦]:

ذادَ عَن مُقلتي لذيذَ المَنام
شُغلُها عنهُ بالدموعِ السّجامِ
أيُّ نومٍ مِن بَعد ما حلَّ بالبصـ
ـرةِ ما حلّ من هِناتٍ عظامِ

ثمّ يقول:

أيُّ نوم بعدَما انتهكَ الزّنـ
ـجُ جِهاراً مَحارِمَ الإسلامِ
إنَّ هذا من الأمور لأمرٌ
كادَ أن لا يقومَ في الأوهام

واستمرّ هذا الوضعُ في البصرة مع استمرار الحركة، أي: (١٤) سنة؛ لأنّ صاحبَ الزّنج اتّخذَ منها مركزاً حصيناً له ولأتباعه، ومنطلقاً لتوسيع حركته[٧].

ويصوّر لنا ابنُ الجوزيِّ دخولَ صاحب الزّنج إلى البصرة قائلاً: «نهبَ وفتَكَ وقتلَ وبالغَ في سَفكِ الدّماء»[٨]، ولم يكتفِ صاحبُ الزّنج عند دخوله البصرة بقتل النّساء والرّجال، بل تعدّى ذلك إلى قتلِ حتّى الصّبيان، وذكر هذا الأمرَ الوطواطُ صاحبُ كتاب غُرر الخَصائص الواضحة، فقال: «قتل من فيها من الرّجال والنّساء والصّبيان»[٩]، وجملة ما قتله الزّنج في وقعتهم بالبصرة اثنا عشر ألفاً[١٠].

إنّ هذه الصّور المتوالية وغيرَها ممّا لم نذكره لكي لا يطول بنا المقام، لعبت دوراً كبيراً في خراب المدينة، وعلى جميع الأصعدة؛ سواءٌ أكانت ثقافيّةً، أم اقتصاديّةً، أم اجتماعيّة، ونلاحظ من ذلك أيضاً إنّ طول مدّة الكرِّ والفرِّ بين العباسيّين وصاحبِ الزّنج، جعلت المدينة تعيشُ حياةً عسكريّةً يسيطر عليها الخوفُ والقتلُ والنّهبُ والسّلب، ما أدّى الى هجرة الكثير من أهل المدينة، وإهمال الكثير من الأراضي الزراعيّة، وتوقف العمليات التجاريّة، وغير ذلك ممّا ضرب مفاصلَ الحياة الأُخرى للمدينة.

الهوامش

١- الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج ٩، ص ٤٣٧.
٢-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦، ص ٢.
٣- مسكويه، تجارب الأمم، ج ٤، ص ٤٢٨-٤٢٩.
٤- الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام، ٢٥/١٩.
٥- يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج ٩، ص ٤٨٦
٦- ديوان ابن الرومي، تصنيف: كامل كيلاني، ٤١٩- ٤٢٧.
٧- الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج ٩، ص ٤٣٧.
٨- ابن الجوزيّ، تلبيس إبليس، ٩٩.
٩- ابن إبراهيم الوطواط، غُرر الخصائص الواضحة وغُرر النقائص الفاضحة، ص٢٧٢.
١٠- ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١٢٥.
*للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع، يرجى مراجعة رسالة الماجستير (حركة الزنج وأثرُها على الخلافة العباسيّة ٢٥٥-٢٧٠)، قريان عبد الجليل، حسين ناصر، ٢٠١٦.





زَكيّ الجابر (١٩٣١-٢٠١٢م) ومُنْجَزه الأَدَبيّ

محمد صالح عبد الرضا

عرفتْه البصرة شاعراً منذ أوائل الخمسينيّات، يعشقُ ناسَها ونهرَها ونخيلَها، يطوفُ بها، ويعومُ حولها، وعرفها فضاءً شعريّاً مفعماً بالنّسائم النّديّة القادمة مع أجنحة الحمائم البيض، وغرام الشّاطئ الذي كانت تطلُّ عليه (كازينو البدر) في كورنيش العشّار، وملتقى الأصدقاء، يحفظُ له أصدقاؤه المقرَّبون كثيراً من الطرائف والمزاحات، منهم الأدباء: محمود عبد الوهاب، وعبد الغفور النّعمة، وصديقُه الودود، أخي الرّاحل عبد الأمير، وسيتذكّر الكثيرون من أطبّاء البصرة ومعلّميها ومهندسيها الذين تتلمذوا على يديه في ثانويّة فيصل كيف كان يمنحُ درسَه أُفقاً يتّصل باللّغة العربيّة والشِّعر والمسرح، وكثيراً ما تحدَّث عن تذوّق التجارب الشعريّة غير العاديّة.

وُلد في البصرة عام (١٩٣١) م، وتخرَّج في دار المعلِّمين العالية في بغداد عام (١٩٥٤)م.

أصدر مجموعتين شعريَّتين: (الوقوف في المحطّات التي فارقها القطار)، و(أعرف البصرة بثوب المطر). تحملُ قصائدُه رؤيا المرأة والحمّى والاحتراق، يتمنَّى أنْ يكون صوتُ الإنسانيّة هو الأعلى والأخلد.

(يا زمناً لا يرتفع فيه الصّوت أعلى من شفة الإنسان)

له أربع مجموعات شعريّة مخطوطة، له الكثير من الدراسات الإعلاميّة، درَّسَ عدّة سنوات في كلّيّة الآداب -جامعة بغداد- قسم الصّحافة.

وفي حوار افتراضي مع الدّكتور (زكي الجابر) كانت هذه السّطور:

- أطلقتَ في إحدى مقالاتِك القول أنّ بإعلامنا حاجة إلى حرارة الهدف ودفء الصّراحة، وعليه أنْ ينهض بواجب التّعليم للجميع، والتّثقيف، فما هي المهمّة التي يُمكن أنْ تحقّق ذلك؟

- لابدَّ من الاتجاه إلى ما يمكن أنْ يُطلق عليه (أدب الإعلام)، أو(إعلاميّة الأدب(، الذي تحدّد الصّحافةُ والمسرح والإذاعة والسّينما والتّلفزةُ وسائلَ يُنقل عَبرها هذا الأدب، غير أنّ هناك مشكلاتٍ أساسيّةً تواجه الصّحافة والمسرح، تجعل أثرها محدوداً بالقياس إلى الوسائل الأخَر؛ ففي الصّحافة تقف أمامنا مشكلة خطيرة هي قلّة القرّاء؛ بسبب انتشار الأمّيّة، وفي المسرح تتجلّى صارخةً مشكلةُ قلّة الجمهور الذي تتّسعه أيّ دار للعرض بالقياس إلى الجمهور الذي يتوجّه إليه القولُ عن طريق الوسائل الأُخَر، والكتابة للسيّنما والإذاعة والتّلفزة تحتاج إلى دِرْبةٍ خاصّة، لابدَّ من أنْ يدرسها ويمارسها أُدباؤنا لكي يتمكّنوا من النّجاح عند ممارسة عمليّة التوعية.

- ما الذي سيُجابه الأدباءَ لتخطّي الشّكل وصولاً إلى تذوّق الجمهور؟

- إنّ هذا التخطّي قدْ يعني تخطّينا لقيم الجمال السّائد في الآداب الرّفيعة، بل قدْ يذهب بعضهم إلى القول باستحالة الجمع بين الجودة والإنتاج، وإذاعته، فعلى الرُّغم من ذلك، فإنّنا نذهب إلى أنّ هذا التخطّي باتَ ضرورة، وأنّ أدب الإعلام أصبح أمراً لا مناصَ منه، وأنّنا لَننتظرنَّ من أدبائنا (الكبار) مَن يُقدم منهم لكتابة تمثيليّة للتلفزيون مقتبَسة من خبر نشرتْه إحدى الصُّحف اليوميّة، وأنْ تُنجز كتابتُها عن إدراك لصنعة الكتابة للتلفزيون، وما أكثر هذه الأخبار التي يمكن استيحاؤها.

- هل يستطيع الأديب أنْ ينجحَ في الإسهام بمهمّة الكتابة للإعلام؟ وكيف تكون صفتها؟

- إنّ الأديب يمكن أنْ يحقّق كثيراً من النّجاح لو استطاع أنْ يُدرك:

أوّلاً: طبيعة هذه الوسائل، وكيفيّة معالجة مشكلة الزّمان والمكان التي تقع فيهما الأحداث.

ثانياً: معالجة التّصميم، أو التّخطيط الذي يُبنى عليه النّصّ.

ثالثاً: مذاهب الإنتاج السّينمائيّ، وأنواع برامج الإذاعة والتلفزيون.

إنّ كلّ ذلك يقتضي التعرّف على صفة الكتابة للإذاعة والسّينما والتلفزيون، وعلى الخطوات التي ينبغي اتّباعُها عند الاقتباس أو الإعداد.

إنّ هذه الأجهزة مجاري كلمات، ولابدّ مِن تغذيتها عن طريق الاقتباس، أو الإعداد، وهو أمرٌ لا تقلُّ أهمّيّتُه بأيّة حال عن الكتابة بصورة مباشرة.

- الكاتبُ الذي يتعامل مع أجهزة الإعلام، ما الذي ينبغي له أنْ يراعيَ في الكتابة؟

- ثلاثة جوانب: الجمهور، واللُّغة، ونفسُه بما فيها من مشاعر، وما يتشابك مع هذه المشاعر من أفكار، وهو يحتاج على سبيل المثال لمواجهة ذلك إلى أنْ يبذل جهداً خاصّاً في التعرّف على الجمهور والمبادئ السّيكولوجيّة والاجتماعيّة التي تتحكّم فيه، وليس مطلوباً من الجمهور -هنا- أنْ يسمعَ أو يرى فحسب، بل أنْ يفهم، وأنْ يفقه، وأن يتذكّر؛ ليعمل بما رأى أو سمع، واللّغة ينبغي أن تتحوّل إلى ذلك اللّون السّهل الذي يقرب من لغة الحديث أو التخاطب، ما يجعلها أكثر جذباً للانتباه، أمّا الكاتبُ، فلابدَّ له من تجربة غنيّة، ومعرفة عريضة، وشعور عميق، مع النِّضال، ما يجعله متمكّناً من تجاوز حالة القلق الفرديّ.

- كيف تكون صلة الرّأي العامّ بالأحداث؟ وما هي تأثيراتها عليه؟

- إنّ الرّأي العامّ حسّاس للأحداث العامّة، والأحداث ذات الخطر غير الاعتياديّ قدْ تحّرف الرّأي العامّ من جانب متطرّف إلى آخر، وتحدّد الفكرةَ بالرّغبة الغنيّة؛ فالأحداثُ والكلمات وكلّ مؤثّر يؤثّر على الرّأي العامّ يعقد الصّلة بالرّغبة النقيّة، ولا يمكن للرّأي العامّ في ارتفاعه لأيّ مدّة إلّا

إذا اتّصل بالرّغبة النفسيّة شعوريّة أو لاشعوريّة، واتّصال الفكرة بالرّغبة تجعل تغييرَها أمراً صعباً.

- في بحثك عن الدّعاية والسّلطة، اكتشفتَ أنّ كثيراً من مسبِّبات الاضطراب الإعلاميّ تكمن في تمييز أو قطع الاتصال بالجمهور، فكيف ذلك؟

- هذا الكلام يُعيد إلى الذِّهن قصّة تناقلتها كتبُ الرّأي، وهي تروي عن وجود شابّ أصمّ وأبكم في غرفة بين عميان، وأنّه ليس هناك من وسيلة للاتّصال بين أعمى وأصمّ وأبكم، فإذا ما تناهى إلى سمع العميان صوتٌ غريبٌ، اعتراهم الخوف، وشرعوا يقومون بجرعات دفاعيّة، وإذا أبصر الشّابّ الأصمُّ الأبكمُ حركتَهم، شرَع بالدِّفاع عن نفسه، وانتهى الأمر إلى أنْ فقأ أحدُ العميان عينَي الشّاب.

- كيف ترى اشتراط التحدّث في أجهزة الإعلام؟

- يقول المثلُ الفرنسيُّ: (أدِرْ لسانَك سبع مرّات في فمك ثمّ تكلّم)، وعندي: إنّ أيّ حديث عن الإعلام يتطلّب من المرء أنْ يُدير لسانَه في فمه أكثر من سبع مرّات، ثمّ يتكلّم؛ ذلك أنّ الحديث في الإعلام حديثٌ في السّياسة والسّيكولوجيا والاجتماع، وقدْ اتّسع الإعلامُ حتّى شمل كلّ تصريحٍ حكوميّ، وكلّ بيانٍ سياسيٍّ، وكلّ إشادة تعبير تُطلقها أجهزة الصّحافة والإذاعة والتلفزيون والسّينما، وإذا كان الإعلام صوتاً للسّياسة والدبلوماسيّة، فإنّ صعوبة الحديث تزداد تعقيداً وخطورة.

- تحت عنوان(سيكرون مرض العصر)، كتبتَ مقالة تنعى فيها الرُّعبَ البشريَّ، والعربات المثقلة بالموت والموتى، فإلى أيّة مرجعيّات تسند هذه المقالة؟

- تحدّث الأقدمون من اليونان فيما تحدَّثوا عن لصٍّ خرافيٍّ يُدعى (سيكرون)، يقطنُ شرخاً في الأرض يُطلُّ على البحر، قاطعاً مرور العابرين، فإذا وقع رهطٌ بين يديه، أجبرهم على غسل قدميه، ثمّ يركلهم بعنفٍ إلى البحر، حيث تكمن هنالك في الانتظار سلحفاةٌ ضخمةٌ، تلتهم ما يُلقى إليها التهاماً. وفي السبعينيّات من هذا العصر، نقلت وكالات الأنباء صورَ جثثٍ مشوَّهة تقارب الأربعمائة، وُجدتْ مشوَّهة بعضها إلى بعض بأسلاك ميّتة، وهي تغطس وتطفو في مياه نهر الميكونغ في الهند الصّينيّة، وأنّه بالتأكيد(سيكرون(آخر قذف بهؤلاء إلى اللّجة، ربّما لأنّهم رفضوا غسلَ قدميه، أو أصابَهم التلكُّؤ في ذلك، وإذا كان(سيكرون(عند الأقدمين من اليونان لصّاً خرافيّاً، وأنّ الحكاية لا تعدو أنْ تكون أُسطورة، فإنّ (سيكرون(هذا العصر حقيقةٌ قائمة.

- في دراستك (من دانتي إلى بدر السَّيَّاب)، تُقرِّر أنّ الخيالَ المولِّدُ لأكبرُ فعاليّةً لعمليّات الخَلق الشعريّ، فكيف تتّبعتَ ذلك في هذه المسافة)من دانتي إلى السَّيَّاب(؟

- يتحدَّث كروتشه، قائلاً: لكي نحكم على (دانتي)، يجب أنْ نرفعَ أنفسنا إلى مستواه، ليكن مفهوماً تماماً أنّنا من النّاحية الواقعيّة لسنا (دانتي)، وليس (دانتي) نحن، ولكن، في لحظة الحكم والتعامل هذه تتشبّه روحُنا بروح الشّاعر، وفي هذه اللّحظة نصبح نحن وهو شيئا واحدا، وهذه محاولةٌ للعيش في لحظات الحكم والتعامل مع أكثر من شاعر، وإنّنا لا ندّعي صيرورتَنا وإيّاهم شيئاً واحداً، ولكنّنا سنكون جاهدين على قربٍ منهم.

- تُرى ما هو تعريفكم للثّقافة الوطنيّة؟

- إنّ الثّقافة في تعريفها أُسلوبُ الشّعب في الحياة، وإنّ مسار الثّقافة يضمُّ ديناميكيّةَ الشّعب وإسهاماتِه في بناء الحضارة، وإنّ هذا المسار لَيمتدّ في الماضي، ويتوهَّج في الحاضر، ويعكس أضواءً على المستقبل، المجنونُ وحدُه هو الذي يجهل ماضيَه، وإنْ كان هذا الماضي وما فيه سبب جنونه[1].

١- الاعتمادات:

-مجلّة (الأقلام)، العددان: أيلول ١٩٦٧م، وآب ١٩٧٠م.

- مجلّة (الآداب) اللّبنانيّة، آيار ١٩٦٩م، العدد الأوّل ١٩٧٠م.

- مجلّة (المثقّف العربيّ) العراقيّة، الأعداد: تشرين الثاني ١٩٧٠م، وكانون الأوّل ١٩٧٠م، كانون الثاني ١٩٧١م.

- مجلّة آفاق عربيّة، العدد الثاني ١٩٨١م.



ثلاث محطات مزبدية

(المحطّة الثالثة)

عادل علي عبيد

تودَعُ في المِربَد أكداسُ التمر حتّى يشمّسَ ويتغيّرَ لونُه ليُصبح مُرَبَّداً، (فالرُّبدة هي تغيير اللون الشبيه بالغُبرَة)، وهذه حالة انتقاليّةٌ غريبةٌ عَليهِ، فقد تطوّرَ المربدُ وتغيرت طبيعتُه وملامحُه ليضمَّ المجالسَ والملتقياتِ والحلقاتِ والصالوناتِ الفكريّةِ.. هكذا هو حالُ الادب الذي يتطلّعُ دائماً الى الجديد، وينشدُ الغريبَ، ويتحرّى البعيدَ.. وبالمناسبةِ نقولُ هنا: إنَّ هذه الندواتِ لم تُعقد موسميّاً، بل كان انعقادُها يوميّاً، لاسيّما في العهد الامويّ؛ فالناسُ على موعدٍ مع حلقةٍ أو ندوةٍ او لقاءٍ أو مناظرةٍ.. وهكذا تتعدَّدُ الندواتُ بحضور الشعراءِ والرّجّازِ والنُّقّاد.. وبحضور عِليةِ القوم وأشرافِهم، فيتحقّقُ التفاخرُ والتهاجي والتشاوُر وبناءُ البرنامج لقبائلَ وعشائرَ متعدّدة؛ فالمربدُ هنا قد أعلنَ على أنّه متنفَّسٌ للناس الذين أنهكتهم الحروبُ والغزواتُ والفتوحاتُ، وسبيلٌ الى تحقيق نزعةِ الانتماءِ الى الثقافةِ التي كانت تزاحمُ العربَ إذا ما سلَّمنا أنَّ العَربَ أمّةٌ شاعرة.

إذن، إنتقل المِربدُ الى مرحلة جديدة أخرى، ليكونَ

حلبةً للصلحِ والمناظرةِ وتقريبِ رؤى الخُصوم، وعرض الآراء، وبيان وإعلانِ وثائقِ الصلحِ بين المتخاصمين، وفضِ النزاعاتِ بحضورِ الأشهاد والأَعيانِ والحكّام، والوقوفِ على آخرِ البيانات والاعماماتِ التي تطلقُها الدولة، منوّهين بأنّ المربدَ حقّقَ انجازاً لحلفاء الدولة الامويّة بعدما كان شاغلاً لهم، ومحقّقاً لمطلب الادبِ والثقافةِ والفِكر.

هكذا يؤلّفُ المِربدُ حُلُمَ القبيلة وأملَها وهي تحملُ مفاخرَها ومآثرَها لتعرضَها سلعةً رائجةً مقبولةً بين قبائل العرب المتبضّعينَ لتجارة الادب والنقد والرّجز والرواية..الامرُ الذي جعلَ المربدَ حُلمَ القبائل ومستقرَّ أعمالهم ومحطَّ تنفيذ برامجهم؛ فهم يعرضون فيه بياناتِ وخطاباتِ القبيلةِ وبريدِها الذي ترسلُه بعيداً عن حَقائب الابلِ ومحفوظاتِ السُّعاة وخزائنِ القوافلِ المَحمولة.. فضلاً عن ما تميَّزَ به بناؤه وطرازُ عمارته وهندسته ودُورِه الجميلة وساحاتِه ومضاميرِه،التي تريح النفس بالنسبة للزائرين ومن يروّحون عن النفس من المسافرين، ونشرِ النظرِ باتّجاه الباديةِ الممتدّةِ، الامرُ الذي يحقّقُ مقولةَ جعفر بن سُليمان الهاشميّ: (العراقُ عينُ الدنيا، والبصرةُ عينُ العراق، والمِربدُ عينُ البصرة، ودارين عينُ المِربد)، ما يؤكّدُ أنَّ ساكني المربدِ افادوا من كثرة الوافدين والمهاجرين إليه، فجعلوه مكاناً سياحيّاً ومستقطبا يليقُ بمَن يحطُّ الرحالَ به، وهو ما يعزّزُ مقولة ياقوتٍ الحمويِّ في معجمه: «مربدُ البصرة من أشهر محالِّها، وكان يكون سوق الإبل فيه قديماً، ثمّ صار محلّةً عظيمةً سكنها الناسُ، وبه كانت مفاخراتُ الشعراء والخطباء، وهو الآن بائنٌ عن البصرة نحوَ ثلاثةِ أميالٍ، وكان ما بين ذلك كلّه عامراً، وهو الآن خرابٌ، فصار المربدُ كالبلدة المنفردة في وسط البرّيّة».

لقد شجَّع المربدُ الشعراءَ ودعاةَ الكلام وأعلامَ اللغة والادب والخطابة والنقّادَ والرواةَ على زيارته، واصبحَ يزاحمُ حياةَ المثقّفينَ، ويكونُ جزءاً من استكمال المشروع الثقافيّ لأيٍّ منهم، وكأنَّ مَن لم يزرْهُ، لا يحظى بمكانةٍ اديبّةٍ مرموقةٍ وسمعة تليقُ به. فتهافتَ المثقّفونَ من كلِّ حَدبٍ وصوبٍ وهم يسجّلونَ الحضورَ، ويوثّقونَ لأعمالهم وفعّاليّاتهم وجلساتِهم الاديبّةِ؛ فهذا أبو عمرو بن العلاء يسأل الأصمعيَّ: «من أينَ أقبلت؟ فيجيبُه: «جئتُ من المربدِ»، فيقول: «هاتِ ما مَعَك»، فيقرأ عليه الأصمعيُّ ما كَتَب في ألواحه، فإذا ستّةُ أحرف لم يعرفها أبو عمرو، فيخرج يعدو في الدرجة ويقول للأصمعيِّ: «شمَّرتَ في الغَريب»، أي: غلبتَني.

وعلى الرغم من أنَّ الخرابَ قد طال المربدَ لمرّات ومرّات، إلّا أنَّه بقي محتفظاً بهويّته حالُه حالُ بقيّة مدن العراق التي طالها الخرابُ والدمار، لكنّه احتفظ ايضاً بمكانِه ومكانتِه، وحرصَ على بقاءِ مَعلَمه الذي صار مثابةً ومحطّةً ومحجّاً للمتزوّدين من بِضاعة الادب والشعر والنقدِ، وكذا حرصَ على امتدادِه العمرانيِّ والبنائيِّ الذي يصلُ البصرةَ، فيذكر ياقوتٌ الحمويُّ في معجمه أنّ مشهدَ البناءِ والاعمارِ والسكنِ المتصلِ كانَ يربطُ البصرةَ بالمربدِ، وهو أمرٌ عجيبٌ لم نجده حتّى في مربد اليوم القائم في مدينة الزبير.

وأخيراً، تأثَّرَ المربدُ بحركاتٍ وموجاتٍ وتيّاراتٍ غيرِ عربيّةٍ وافدةٍ وقادمةٍ من الشرق والبحرِ، احتواها بطريقته الحداثويّةِ التي اختلفت عن سوق عُكاظٍ، الذي كانت تحيط به القبائلُ العربيّةُ المعروفةُ، فموقعُ البصرة البحريِّ كان وما زال مشجّعاً على استقدام لغاتٍ وثقافاتٍ اجنبيّةٍ، ونزوحِ أقوامٍ واختلاطِ هجراتٍ فارسيّةٍ وغيرِها مرَّت أو استقرَّت في البصرة، وهذا ما جعلَ لغةَ المربدِ تختلفُ عن لغة عُكاظٍ، الذي يقع في قلب الجزيرة العربيّة، ومع كلِّ هذا، حافظ المربدُ على الهويّةِ العربيّةِ، ونقدِ اللحنِ في القولِ، وشخصِ الغريبِ والحوشيِّ في الكلام، وبيّنَ فسادَ اللغةِ وعُجمَتها ولحنها، الامرُ الذي شجّعَ البُلغاءَ والفصحاءَ والنقّادَ على التصدّي الى هذه الممارساتِ، وحصرِها، وتشخيصِها، وتقويمِها من خلال مهمّة أعلام اللغةِ والادبِ والشعرِ والنحوِ والبلاغةِ، وهو الامرُ الذي جعلَ مساحةَ المربدِ الفكريّةِ تَنوفُ على عُكاظ، لاسيّما وأنَّ رسالتَه لم تقتصر على الشعر والرّجز والرواية، وإنَّما شملت العديدَ من الممارساتِ والأعمالِ والحلقاتِ الفكريّةِ الأخرى، وانفتحت عليها.

جانبٌ من رِحْلات الأب بارثيلْمي كاريه في العراق والخليج العربيّ (١٦٦٩-١٦٧٤)

القسم الثاني

إعداد: ياسين اليوسف

مقتبسٌ من كتاب (رحلات الأب بارثيلمي كاريه في العراق والخليج العربيّ وبادية الشام (١٦٦٩-١٦٧٤))، ترجمة وتحقيق: د. أنيس عبد الخالق محمود، وخالد عبد اللطيف حسن.

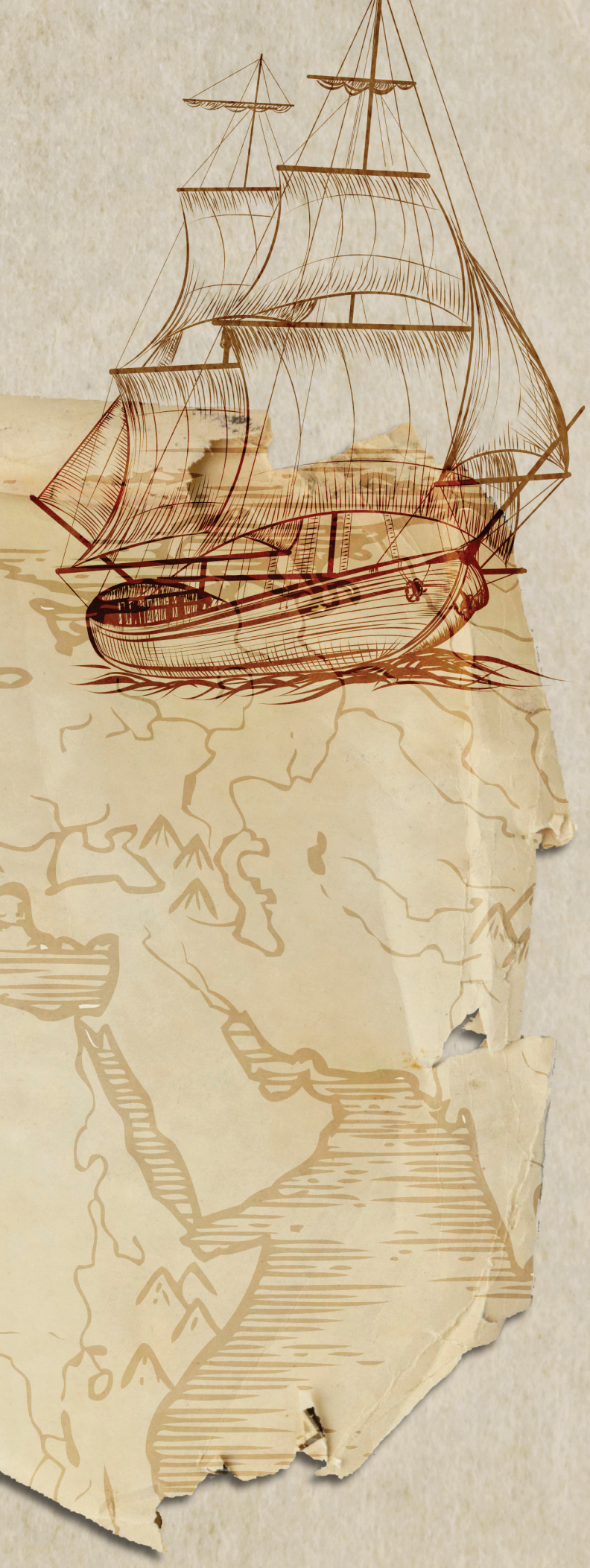
الرحّالةُ ينقذُ ستّةَ أتراك

وذات صباحٍ، حينما كنتُ عائداً مع الجرّاح الخاصّ بنا من الأمير العربيّ، شاهدنا ثلاثةَ أتراك مدفونين أحياءً في الفناء المقابل لقصره، فعدنا إليه وقلنا له: إنّنا لا يمكن أن نأتي بعد الآن إلى منزله لنعطيه الدواء؛ لأنّنا لا نريد أن نرى هذا التنكيل الجسديَّ الذي رأيناه أمام باب قصره، وطلبنا منه أن يترك هؤلاء وثلاثةً آخرين كانوا يُسحلون، فوافق على طلبنا. وبعد أن أطلقنا سراحَهم، أرسلناهم إلى سفينتنا؛ لنجعلهم ضمن بحّارتنا؛ إذ كنّا بحاجة إليهم في سفينتنا. ومن بين هؤلاء الستّة كان أربعة متأثّرين جداً بمعروفنا بإنقاذ حياتهم، فاعتنقوا المسيحيّة على يدي بعد أن كانوا مرتدّين، وتمَّ تعميدهم على ظهر سفينتنا.

ولم يكد يمرّ علينا يومٌ دون أن نشاهد مدينةَ البصرة مليئةً بالمشاهد المحزنة المؤلمة، التي جعلت الناس في كآبة وحزن ورعب شديد لا يعلمون كيف سينتهي. وكنّا نرى عصاباتِ الجنود تأتي وتذهب في الشوارع أحياناً، فاضطرّ الحرفيّون إلى إغلاق دكاكينهم. وأحياناً كنا نشاهد عامّة الناس، نساءً وأطفالاً، يتدافعون على غير هدى، حتّى سادت الفوضى كلَّ مكان، دون أن نعرف ما العمل؛ لأنّنا لم نعرف حقيقة الوضع في معسكر الأمير العربيّ، وكانت تلك سياسة الوالي[1]؛ فقد سيطر على الطرق، وأغلق جميع الجهات؛ حتّى لا يسمح بمرور أيّ شخص قد ينقل أخبار اقتراب الجيش التركيّ. ولم يكن هناك مَن يعرف الأخبار سوى حاكم المدينة والمسؤولون في البصرة، الذين يقومون بحراسة قصر الأمير جيّداً ليلَ نهار، حيث حريمُه وخزائنُه، وبحراسة أبواب المدينة، ممّا جعل الناس في حيرة من أمرهم لا يعرفون ما يقرّرون.

محاصرةُ العرب للقُرنة وهروب يحيى باشا

[الخميس، ٥ أيلول/سبتمبر] وأخيراً، لاحت رايات القوّات التركيّة على بُعد يوم واحد شماليّ القرنة، فبدأ العرب المحاصَرون منذ خمسة أشهر بالتفرّق جماعات جماعات. وقد شقَّ الفرسانُ الأتراكُ طريقَهم نحو السهول، ونزل



آخرون إلى النهر؛ للاستيلاء على القوارب والسفن. وعند الساعة التاسعة مساءً، خيّم ظلامٌ شديدٌ، فعدنا إلى سفينتنا، وتفاجأنا لرؤية الشاطئ مغطّىً بالقوارب والسفن والطوّافات وغيرها من المعدّات الخشبيّة، كلُّها محمَّلة بالجنود بلا ضجّة ولا أنوار. وقد دخل معظمُهم القناةَ المؤدية إلى البصرة، واتّجه آخرون نحو الشاطئ خفيةً.

لم تكن القوّاتُ التي سارت في جنح الظلام والسكون إلّا نذير شؤم، ونعتقد أنّها متجهةٌ لمباغتة المدينة وتدميرها، وهو الأمر ذاته الذي يخطّط له الوالي لو سنحت له الفرصة. ولكن، بناءً على أخبار مؤكّدة، فبعد أن لاحت راياتُ الأتراك شماليّ القرنة، فإنّه تسلّل إلى قصره في البصرة تحت جنح الظلام، وتوجّه إلى السّراي، حيث حريمه وكنزه والمقرّبون إليه، ونقلهم على ظهر القوارب والسفن، وقادهم جميعاً على بُعد خمسة فراسخ جنوبيّ البصرة إلى قلعة (الحفّار)، حيث خيولُه وجِماله وكلُّ ما يلزم لهروبه. وبعد أن اختفى، تسلّل إلى بلاد فارس، التي عومل فيها باستصغار، وظلّ يعاني لمدّة سنة كاملة من الإقامة بين العرب في هذا الجانب من (الخليج الفارسيّ) دون أن يعرف أين يلجأ ليجد الأمان.

وفي البلاط الفارسيّ لم يرحّب به أحد، وكان موضعَ احتقار الجميع؛ لأنه استخدم الخيانةَ مع حميّه، وسلَّم البصرة إلى الأتراك. وكان الفرسُ يشعرون بالغيرة الشديدة من هذا العدوّ الوقح، الذي سيكون قريباً جداً من الحدود الفارسيّة في حال استيلائه على هذا الموقع. كما لم يتمكّن من اللجوء إلى بلاط كبير المغول؛ لأنَّ نفوذَ حميه (حسين باشا) قد يطاله هناك، فيتعرّض للعقاب بسبب خيانته. وفي ما بعد ترك البصرةَ ولجأ إلى بلاط (أورنزيب).

أخيراً، أبحر إلى ميناء (كنج) في ساحل (الخليج الفارسيّ) بواسطة الأسطول البرتغاليّ المتّجه إلى غوا. وعندما مرّ [البرتغاليّون] بسواحل الهند الشرقيّة، لجأ إلى الأمير (شيفاجي)، الذي كان لسنوات عدّة مصدرَ رعبٍ للممالك المجاورة التابعة لكبير المغول؛ لقيامه بسلب ونهب الكثير من المدن والأقاليم التي حاصرها من كلّ الجهات بجيوشه.

ولكي لا نبتعد عن موضوعنا، سنترك هذا الأمير العربيَّ في جيش (شيفاجي)، ونعود إلى البصرة؛ لنرى ما حدث بعد هروب يحيى باشا، الذي اختفى كما ذكرتُ في ليلة الخامس من أيلول/سبتمبر (١٦٦٩) دون أن يعرف ما حلّ بالمدينة[٣].

في اليوم التالي [الجمعة، ٦ أيلول/سبتمبر]، ذهبتُ بعض النسوة لتناول طعامهنَّ كالمعتاد في قصر الوالي، وكنَّ يحملن زهوراً وفواكه لنسائه. ولكنّهنّ تفاجأن حينما لم يجدنَ رجالهنَّ ولا الحرس. فهرعن إلى منزل الحاكم وهنَّ بحالة رعب وحيرة. وحينما لم يجدنَ سوى بضعة جنود، عمَّهنَّ الهلعُ والفزع، فأخذن يصرخن ويركضن في الشوارع بطريقة رهيبة، وبدأن بتمزيق ملابسهنَّ وشعورهنَّ وحليّهنَ، فاسترعى صراخُهنَّ ونحيبهنَّ انتباهَ الآخرين. وبعد قليل عمّ الرعبُ المدينةَ، وعلا الصُراخ ونحيب الرجال والنساء والأطفال المثير للشفقة، وهرع الأهالي إلى قصر الوالي ومنزل الحاكم ومنزل الشاهبندر، وإلى البيوت الأخرى لضبّاط المدينة، فلم يجدوا سوى الجدران والصالات والغرف الخالية المهجورة، والحزن والصراخ واليأس الذي تفاقم بطريقة مأساويّة، وأصيبت المدينةُ المسكينة بحالة ذهول، وشوهد الجنود يجوبون المدينة، ويدخلون إلى البيوت والأسلحة بأيديهم، فيجدونها مفتوحةً، ويستولون على أثاثها، ويبحثون عن الكنوز المخبّأة للتجار الأغنياء. ومن جهة أخرى، كنّا نرى الرجال يلوذون بالفرار، تاركين خلفهم زوجاتِهم محبَطات في الشوارع ووسط الساحات، يتبعهنّ ويحيط بهنّ أطفالُهن الذين كانوا يبكون بكاءً مُرّاً.

هذا هو المشهد الذي رأيناه طوال هذا اليوم في مدينة البصرة؛ إذ لم يكن أحدٌ يفكر بأمواله أو بثرواته أو حتّى بمنزله، فلم يكن همُّ الأهالي سوى إنقاذ أنفسهم. وشاهدنا حشداً كبيراً من التجّار يهرعون إلى دير الآباء الكراملة، وطلبوا منّا السماح بالصعود إلى سفينتنا، ولكنّنا رفضنا؛ لأنّنا أركبنا الكثيرين منهم في الأيّام السابقة. وبعد أن شاهدنا الذهول يعمُّ المدينة، كان علينا أن نأخذ معنا كلَّ آباء الدير الكراملة مع كثير من العوائل المسيحيّة التي عانينا صعوبةً في نقلها على ظهر سفينتنا بسبب الضجة المفزعة التي حدثت في كلّ جانب. وفي أثناء مرورنا، كنّا نرى نساءً مسكيناتٍ يستوقفننا في كلّ دقيقة، ويلقين بأنفسهنَّ على أقدامنا، ووجوههُنّ ملأى بالدموع، يتوسّلن أن ننقذهنَّ، فاضطررنا أن نسدّ آذانَنا لنتخلّص من إلحاحهنَ؛ لأنّنا كنّا نقود الأسر المسيحيّة التي تبعتنا بكثير من الرعب بعد مشاهدتها القوّات التركيّة تجوب أرجاء المدينة.

لكنَّ كلَّ ما رأيناه في هذه المدينة من حزن ورعب طوال اليوم قليلٌ جداً مقارنةً بما رأيناه في آخر النهار أسفل نهر البصرة الصغير؛ فحينما دخل جميع الهاربين إليه، وجدوا سعة شطّ العرب وسرعته تزرع الرعب والهلع في نفوس أشجع الشجعان، ومع ذلك، هرعوا للعبور إلى الضفّة الأخرى (أي: إلى الجانب الفارسيّ)؛ لينجوا بأنفسهم.

تأثيراتُ الخوف المفزعة

هناك شاهدنا أموراً محزنةً؛ فمَن لم تكن لديهنّ القدرة أو الوسيلة في الحصول على سفينة أو قارب، صنعوا طوّافات من الجذوع والألواح الخشبيّة لينقلوا عوائلهم؛ إذ يمكن للماء حمل أثاثهم والقليل من الأمتعة، فمن لديه الوقت الكافي لصناعة هذه القوارب، يستطيع عبورَ النهر الواسع بأمان، ولكنّ بعضَها كان يتفكّك ويغرق بسبب الأعداد الغفيرة من الناس الموجودين عليها. وأكثر ما أثار حزنَنا عامّةُ الناس ممّن لم يحصلوا على قارب أو وسيلة لعبور هذا النهر السريع. وكنا نشاهد رجالاً يعبرون حاملين نساءَهم على ظهورهم، وأولادهم مربوطون على جوانبهم وهم يسبحون على حزمة صغيرة من الخشب. أمّا مَن لم يستطع نقل هذا الحمل، فكانت سرعة التيار تجرفه إلى الضفة الأخرى. وشاهدنا آخرين يستخدمون مواشيَهم بعد أن يربطوا بذيولها حُزماً من الحصير والقصب وقطع الخشب وأشياء مشابهة أخرى، فيضعون نساءهم وأطفالهم عليها لتجرّها ذيولُ الأبقار والجواميس والخيول وغيرها من الدوابّ.

وبهذا أصبح النهر مغطّى تماماً بهذا النوع من وسائل النقل، وتحوّل الخوف إلى رعب شديد.

وعند حلول الليل، رأينا من سفينتنا هذه المشاهد المحزنة، وكانت المأساة تتعاظم مع تزايد عتمة الليل؛ فهناك مَن لم يتمكّن من المجيء واللحاق بالآخرين فيغرق، وهناك مَن يحاول سحبه فيغرق معه بعد أن يطلق صرخات وأنّات مؤثّرةً تجعل ضفَّتَي النهر ترتعد خوفاً.

وأخيراً، بعد أن عانينا ما عانينا في نقل المسيحيّين بسفننا، رفعنا المراسيَ في منتصف الليل، وانطلقنا ببطء مع تيّار النهر، الذي دفعنا بعيداً عن أنظار ومصاب جميع هؤلاء المساكين البائسين العائمين حولنا مع صرخاتهم ونحيبهم الذي ملأ قلوبَنا حزناً.

وحينما ارتفع منسوب مياه شطّ العرب، رسونا على يُعد فرسخين جنوبيّ البصرة، بالقرب من جزيرتين صغيرتين في وسط الشطّ هما (أمستردام) و(مِدِل بورج)[٣]، وهما الجزيرتان اللتان صادفناهما عند صعودنا إلى مصبّ شطّ العرب، ولا يزيد طول كلتيهما عن ربع فرسخ، وكلتاهما مليئتان بالنخيل العالي وبالكثير من الأشجار المثمرة الأخرى، وتكثر فيهما الثمارُ اللذيذة والكثير من البطيخ الأصفر والخيار والبطيخ الأحمر [الرقّي] والخضار والأعشاب والبقول المكسوّة بخيوط الكتّان الناعمة جداً. وهكذا كانت الضفاف الأخرى لشطّ العرب.

قلعة الحَفّار

في اليوم التالي [السبت، ٧ أيلول/سبتمبر]، رفعنا أشرعتنا للإبحار، وخرجنا بأقصى سرعة من هذا النهر، وبعد أن قطعنا أربعة فراسخ بصعوبة بالغة، عصفت بنا رياحٌ غريبةٌ عاتيةٌ معاكسةٌ مصحوبةٌ بأعاصير وزوابع مخيفة أجبرتنا على التوقّف على بُعد ستّة فراسخ جنوبيّ البصرة، أمامَ قلعة (الحفّار).

بُنيت قلعة (الحفّار) هذه في عهد (حسين باشا)، أقوى أميرٍ عربيٍّ في البصرة؛ لحماية ممرّ شطّ العرب، الذي يتفرّع إلى ثلاثة فروع: فالوسط هو المجرى الطبيعيّ، يتّجه نحو الشرق، ويصبّ في (الخليج الفارسي)، والممتدُّ باتّجاه الشمال الشرقيّ، وتقع قلعة (الحفّار) عند مصبّه، يتّجه ليتلاشى عند سفوح الجبال العالية على السواحل الفارسيّة، بعد أن يرويَ مساحاتٍ كبيرةً من الحقول الشاسعة، أمّا الفرع الآخر الذي يقع مصبُّه في الجهة المقابلة لقلعة (الحفّار)، فيمتدُّ نحو الجنوب، ويتّجه ليسقي السواحلَ العربيّةَ، ويتلاشى بالقرب من جزيرة (البحرين) في (الخليج الفارسيّ)، الشهيرة جداً بالصيد الوفير لأجمل اللآلئ الشرقيّة.

استمدّت هذه القلعةُ تسميتَها من مفردة عربيّة تعني (المَعبَر)؛ إذ يتمُّ دفعُ الرسوم الجمركيّة في أثناء الدخول والخروج منها[٤]. وقد بناها عرب البصرة لإجبار القوارب والسفن الكبيرة الأخرى التي تتردّد إلى الشطّ على دفع رسوم المرور. لكنَّ الأتراك هدموها في سنة (١٦٦٨) عند استيلائهم على البصرة أوّل مرة، فدمّروا القلعة؛ لاعتقادهم أنّها عديمة الفائدة، كما هدموا المتاريسَ، وأزالوا منها بعضَ قطع المدفعيّة والذخائر الحربيّة ونقلوها إلى مكان آخر يبعد ستّة فراسخ شماليّ البصرة، عند القرنة، وهي موقعٌ بالغُ الأهمّية؛ بسبب وقوع نقطة التقاء نهري دجلة والفرات في هذا المكان، الذي يحمي مدينة البصرة، وهو بوّابة الأمان لحماية بغداد[٥] وغيرها من المناطق التركيّة.

الحزن يخيّم على أهالي البصرة

شاهدنا الحزنَ يخيّم على أهالي البصرة الذين لجأوا إلى (الحفّار) في خِضمّ الاضطرابات ليواصلوا طريقهم، فذهب قسم منهم نحو السواحل الفارسيّة، وذهب القسم الآخر باتّجاه شبه الجزيرة العربيّة.

[الأحد، ٨ أيلول/سبتمبر]، بعد عاصفة استمرّت أربعة وعشرين ساعةً متواصلة، صفا الجوُّ، وشرعنا بالإبحار، وخلال يوم واحد وصلنا إلى مصبّ شطّ العرب، وعند انبلاج الفجر، دخلنا (الخليج الفارسيَّ)، فاندهشنا لرؤية جثث أعداد كبيرة

من الرجال والنساء والأطفال، بعضهم عارٍ تماماً والبعض الآخر بملابسهم، طافيةً فوق أمواج البحر، نتيجة العاصفة السابقة. وحينما رأيناها، تصورنا في بادئ الأمر أنّ البحرَ ابتلعَ بعض السفن بسبب عاصفة يوم أمس، ولكنّنا تأكدنا أكثر حينما لاح لنا مشهدٌ آخر في البحر؛ فقد شاهدنا ما يشبه حوتاً كبيراً من بعيد، راكداً على سطح الماء، فوجَّهنا سفينتنا شمالاً لنتعرّف على حقيقته، وحينما اقتربنا منه أكثر، وجدنا سفينةً كبيرةً مقلوبةً، وعليها عددٌ كبيرٌ من الأشخاص العراة يلوّحون لنا بأيديهم؛ فأرسلنا قارباً لإنقاذهم لئلّا يبتلعهم البحر، واقتدناهم إلى سفينتنا، فوجدناهم في حالة وهن شديد، وما إنْ وصلوا إلى سطح السفينة، حتّى سقطوا من شدّة الإعياء، وكانوا عشرةَ رجال وستّةَ نساء اعتنى بهم جرّاحونا. وخلال بضعة ساعات استعادوا وعيَهم، بعد أن أفرغوا ما في جوفهم، وتناولوا شراباً منعشاً. بعد ذلك، قمنا بتغطيتهم ببعض الملابس، وأخذناهم إلى الحجرة الكبيرة في سفينتنا، فأسرع كلٌّ منهم يخبرنا كيف حلّت بهم هذه الكارثة، وبدأوا يقصّون علينا حكاياتِهم المثيرةَ عنها، وقالوا لنا: إنَّ حالة الفوضى والفزع التي اجتاحت البصرة خلال الأيّام السابقة جعلتهم يأخذون القارب الكبير الذي كان موجوداً في المياه بسرعة، فصعد إليه نحوُ مئتين وعشرين شخصا من رجال ونساء وأطفال، إلى جانب أثاثهم ومؤنهم. وقد حُمِّل القاربُ بأكثر من طاقته. وحينما أرادوا الخروج من الشطّ والدخول إلى (الخليج الفارسيّ)، باغتتهم جميعاً دوّامةً هنا، وبقوا على تلك الحال مدّة أربعةٍ وعشرين ساعة وهم يقاومون أمواج البحر العاتية التي قلبت قاربهم وحطّمته، وظلّت بقاياه طافيةً، فتعلَّق بها عددٌ كبيرٌ كما رأيتم، بيد أنَّ معظمَ الأشخاص خارت قواهم فغرقوا بعد أن فقدوا أيَّ أمل لإنقاذهم.

وحينما انبلج الفجر، وشاهدوا سفينتنا في البحر، شجّعوا بعضهم على أمل أن ننقذهم، وهو ما قمنا به فعلاً.

وبينما كان هؤلاء المساكين يقصّون علينا تلك القصصَ المأساويّةَ، كان بحّارتنا وملّاحونا يقومون بجولة بالقارب حول سفينتنا؛ بحثاً عن الجثث الطافية؛ لتجريدها من الخواتم والأساور والقلائد الثمينة جداً، التي كان رجل ونساء الشرق مولعين بالتزيُّن بها، مقابل المعروف الذي أسداه ملّاحونا لإنقاذ أرواح هؤلاء العرب المساكين، الذين شعروا بالارتياح لأنّنا أخذناهم بسفينتنا من البصرة.

الهوامش

١- كانت سياسة الوالي تقضي بإغلاق جميع الطرق تماماً.

٢- أوجز ((ستيفن هيمسلي لونكريك))، ولا سيما في الصفحتين (١٤٨-١٤٩) الحصار الفاشل للقرنة وخسارة يحيى باشا البصرة أمام القوات العثمانية. أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر خياط، ط٦، بغداد، ١٩٨٦، ص ص١٤٨-١٤٩.

٣- جزيرتان عند مصب شط العرب في البصرة تسميان (قيبان) و(جادر). وقد ذكرهما تيفينو. انظر: رحلات جان دي تيفينو في الأناضول والعراق والخليج العربي (١٦٦٤-١٦٦٥)، ترجمة: أنيس عبد الخالق محمود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص ص١٣٠، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧.

٤- مع أن كاريه أوضح لاحقاً (صفحة ٦٤٩ من المخطوط الأصلي) أنّها تعني: مكاناً لجباية الضريبة، لكن، يفهم من سياق النصّ أنّ المقصود بها: (الجسر)؛ استناداً إلى أنّ الكلمة المقصودة (Casser)، وكتبت الكلمة بصيغة (Caffard)، وحرف (f) هنا هو (s). وقد ألحق بالكلمة حرف (d) كما في بعض الكلمات الأخرى التي ستمرّ بنا لاحقاً. ويؤيد سياق النصّ هذا الرأي ويوضّحه أكثر.

٥- وردت في النص الأصلي بصيغة (بابل).

خِيْر يْكُونْ، شَرّ يهُونْ

المعنى: إن كان خيراً، فعسى أن يكون واقعاً، وإن كان شرّاً، فعسى أن يكون هيّنا سهلَ الوقوع.

يُضرب للشعور بوقوع الأحداث السّيئة بأدلّة اعتماد الناس على التشاؤم منها؛ كاختلاج جَفن العين، أو صياحِ الغرابِ، أو ما أشبه ذلك؛ إذ يردّدون هذه العبارةَ عند ظهور الأمارات التي يتطيّرون بها.

وفي المفهوم الإسلاميّ لا تجوز الطِّيَرَة والتشاؤم؛ فإنّ النبيَّ ﷺ كان يحبُّ الفألَ الحَسَنَ ويكره الطّيرة، وكان يأمر من رأى شيئاً يكرهُه ويتطير به أن يقول: اللهمَّ، لا يؤتي الخيرَ إلّا أنت، ولا يدفع السيئاتِ إلّا أنت، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بك[1]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: الطِّيرةُ على ما تجعلُها، إن هوّنتَها، تهوَّنَت، وإن شدّدتها، تشدّدت، وإن لم تجعلها شيئاً، لم تكن شيئا[2]، وعن رسول الله ﷺ: كفّارة الطّيرةِ التوكُّل[3].

خْياط البلْ عين بعيَن

البِلْ: حصيرٌ يصنع من خوص النخيل، والبَلُّ في اللغة اللَّهجُ بالشيء، ولعلّه مأخوذٌ من البَلَل، وهو: النَّداوة والوليمة، وينطبق ذلك على البل لأنّه كثير النداوة؛ إذ لا يمكن صبغُه إلاّ وهو مبتلٌّ بالماء، ولا يصلحه إلا البَلل دائماً، كما أنّه يتّخذ سِماطاً لوضع الطعام عليه في الولائم، والتسميةُ على هذا مجازيّة.

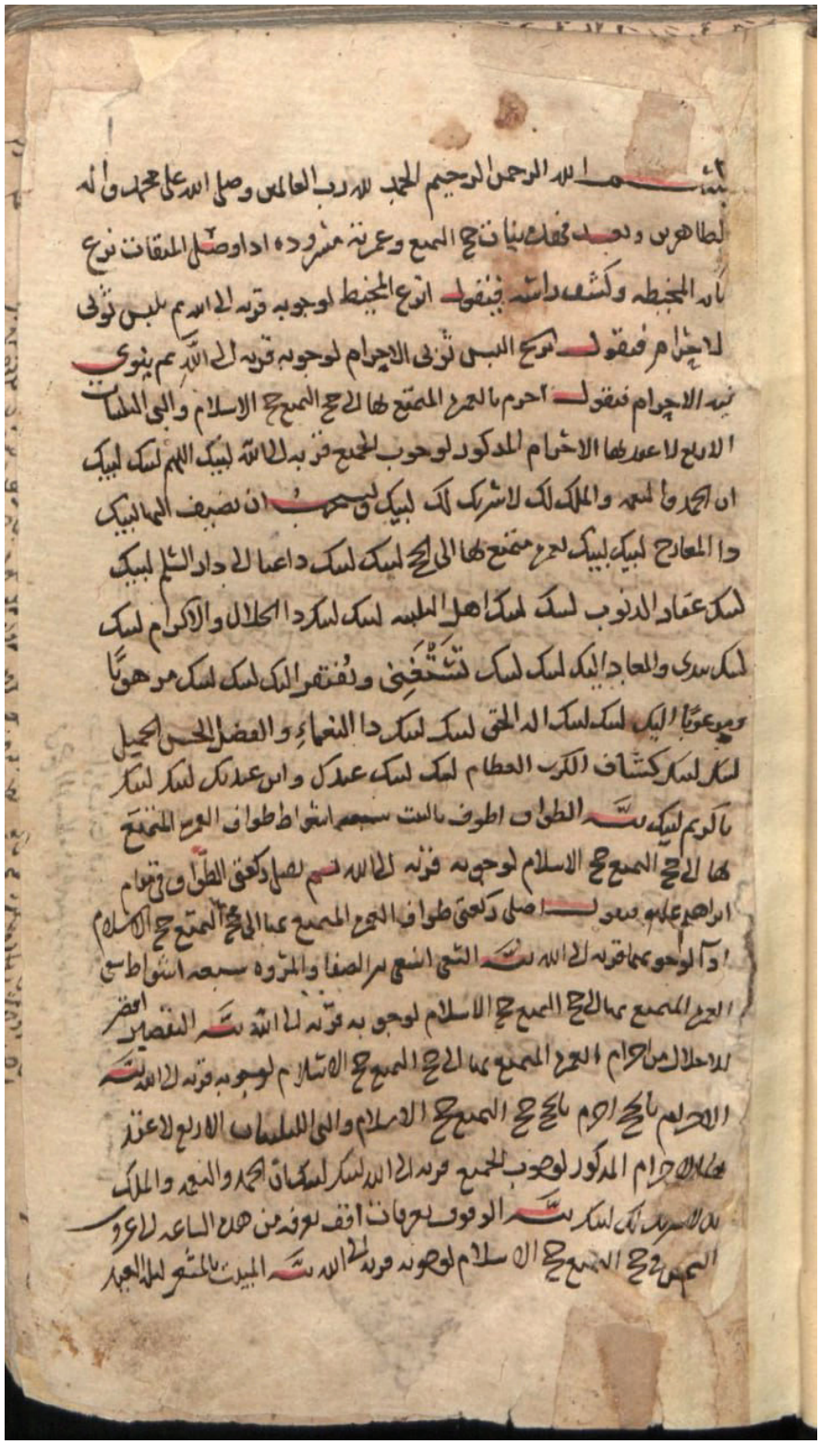
والمعنى: إنّ هذا الامرَ لا اجتهادَ فيه ولا مجالَ للتصرّف؛ إذ هو كخياط البِلْ؛ حيثُ تُشبك كلُّ عينٍ مع ما يقابلها، حيث كلُّ واحدة منها بقدر اختها.

يُضرب للرزق القليل الذي لا يكفي لسدّ الحاجة الضروريّة، وليس فيه متّسعٌ للتفضّل والنعيم.

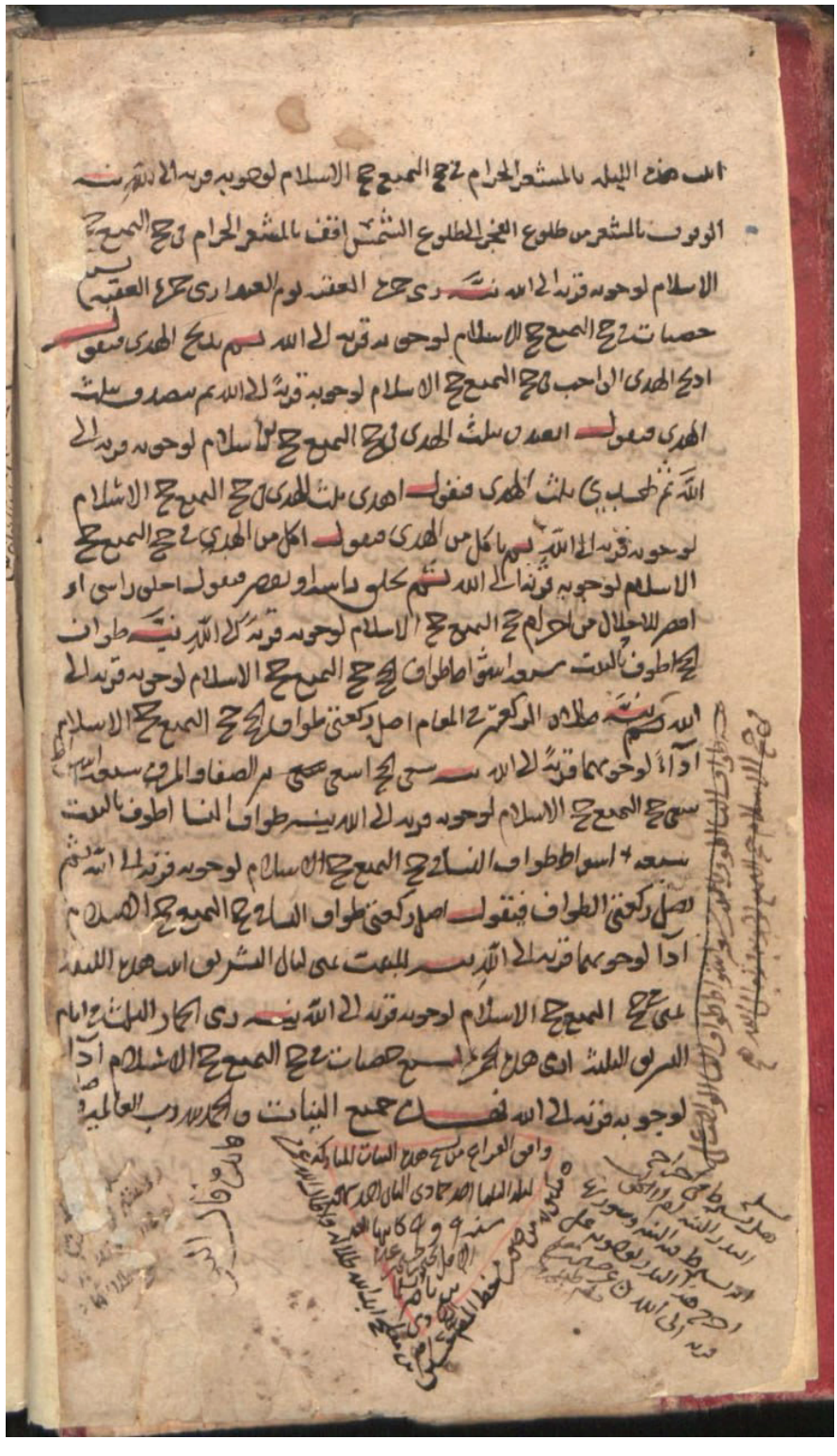
١- البحار: ٣/٩٢، كنز العمال: (٧ / ١٣٦).

٢- الكافي: ٨ / ١٩٧.

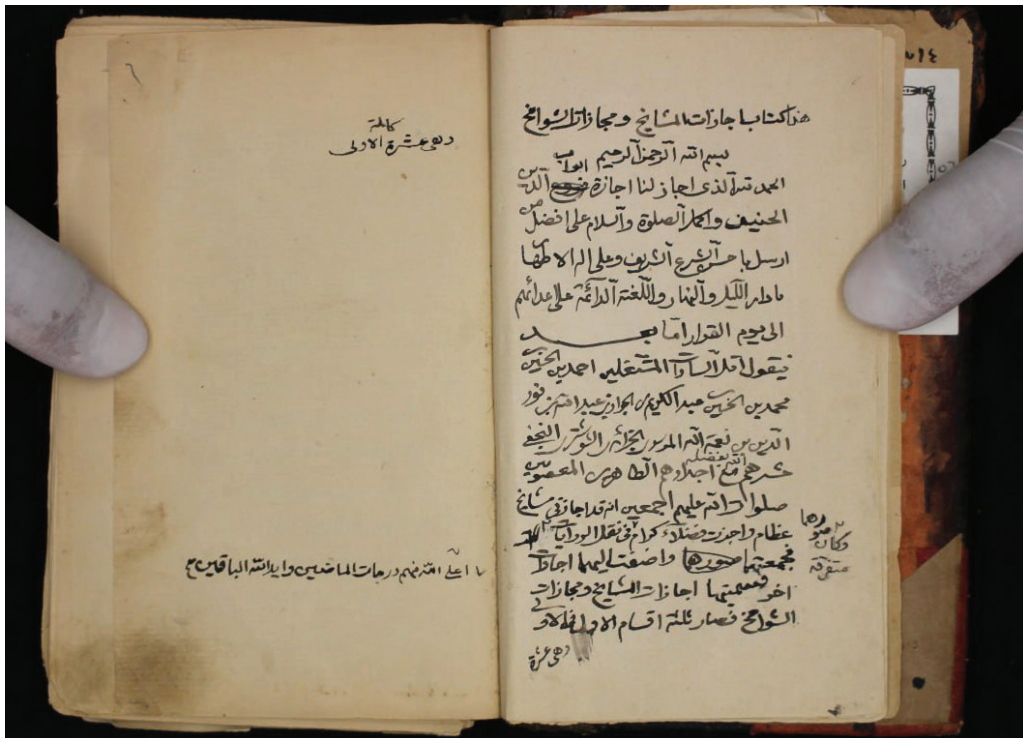
٣- الكافي: ٨ / ١٩٨.



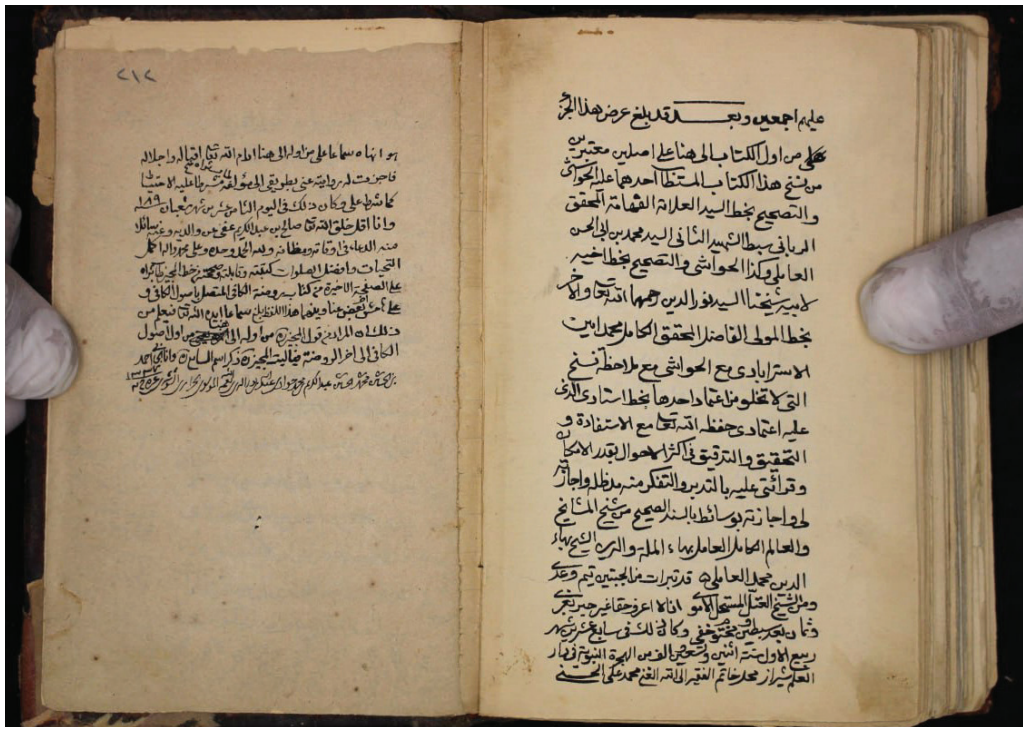
أوّل مخطوطة (نيّات حجّ التّمتّع وعمرته) لحسين بن مُفلح الصّيمريّ، نوع الخط: نسخ.



آخر مخطوطة (نيات حجّ التّمتّع وعمرته) لحسين بن مُفلح الصيمريّ، الناسخ: يحيى بن عشيرة بن حسين السلما آباديّ البحرانيّ تاريخ النسخ في ١ جمادى، الأولى ٩٠٩ هـ.



أول مخطوطة إجازات المشايخ ومجازات الشوامخ لأحمد بن حسن بن محمد بن حسين بن عبد الكريم بن جواد بن عبد الله بن نوزرالدين بن نعمة الله المحدث الجزائري نوع الخط نسخ



آخر مخطوطة (إجازات المَشايخ ومَجازات الشوامخ).



عمارة إدارة الموانئ سنة ١٩٣٥م



مدرسة الأندلس بالفاو سنة ١٩٦٦م



مباراة بكرة الطائرة بين منتخب البصرة ومنتخب العمارة في نادي الأمير عبد الإله سنة ١٩٥٤، الذي سمِّيَ فيما بعد نادي الجنوب الرِّياضي



سباق الدراجات السنوي لـ٢٢ ميل في البصرة، من البرجسيّة الى حدائق البلديّة في العشّار ١١ / ٤ / ١٩٥٦
من إرشيف الأستاذ حسين العطية



الشارع الممتدّ بين جسر الغربان ومنطقة البَراحَة في محلّة الباشا سنة ١٩١٤م



مِن أعْلام البَصْرة
جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيّ

د. أشرف عبد الحسن

البصرةُ حاضرةُ العلم والعلماء منذ القدم إلى عصرنا الحالي؛ فقد أنجبت كبارَ العلماء منذ بداية العصر الاسلاميّ، وفي مختلف العلوم وأبواب المعرفة، لا سيّما في علم النحو والحديث وغيرهما من العلوم، ومن أولئك العلماء المُحَدِّثُ جعفرُ بن سليمان.

هو: أبو سليمان، جعفرُ بنُ سليمان الضُّبعيُّ الحرشيُّ البصريُّ[1]. من أهل اليَمامة[2]، نزل في بني ضبيعة[3]، وكان مولى لبني حريش[4]. يُعدُّ من زُهّاد الشّيعة[5]. وقيل: إنَّهُ كان أُمّيّاً رغمَ كثرة علومه[6]، وقد أنشد الشعرَ للسّيّد المرتضى[7]. روى عن يزيد المرشك وعبد الملك بن جريح وعوفٍ الأعرابيّ وجماعةٍ[8]، وروى عنه عبدُ الله بن المبارك ومسدّدُ بنُ مسرهد وغيرُهما[9].

خرج إلى صنعاء اليمن سنة١٥٢هـ، فسمعَ مِن رواةِ العلمِ فيها[10]، وثَّقهُ علماءُ الجَرْح والتعديل؛ فقال ابن معين[11]، وعليُّ بنُ المديني[12]، والذهبيُّ[13]: إنَّهُ «ثقة»، وذكره ابنُ حبّان[14] في ثقاته. أمّا ابنُ سعد، فقال: «ثقةٌ، وبه ضعفٌ، وكان يتشيّع»[15]، وقال عنه ابنُ حجر: «صدوقٌ زاهدٌ لكنّه كان يتشيَّع»[16]، وبهذا نستدلّ على أنّ الأهواءَ قد لعبتْ دوراً كبيراً في تضعيف الرّجال؛ فبمجرّد أن يكون الرجلُ شيعيّاً، تُلصَق به التُّهم، ولا يُحتجُّ به؛ لأنَّه رافضيٌّ، وهذه من المفارقات، بل من الغرائب في كُتُبِ الرّجال. وقال ابنُ شاهين: «ثقةٌ يتشيّعُ، ليس به بأسٌ»[17]، إلَّا أنَّ العقيليَّ جرَّحه، وذكرهُ في ضعفائه[18]، بينما وثَّقهُ علماء الشّيعة، كالطّوسيّ وابنِ داود والتَفْرِشيِّ والكَرْباسِيِّ بقولهم: «ثقة»[19]، وكانت وفاته عام ١٧٨ هـ[20].

من رواياته

روى جعفرُ بنُ سليمان الضبعيُّ عن المُعَلّى بنُ زياد قال: جاء عبدُ الرحمن بن مُلجَم - لعنه الله - إلى أمير المؤمنين عليه السلام يستحملُه، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، إحملْني، فنظر إليه أميرُ المؤمنين عليه السلام، ثم قال له. «أنتَ عبدُ الرحمن بن مُلجم المراديّ؟» قال: نعم. قال: «أنت عبد الرحمن بن ملجم المراديّ؟» قال. نعم. قال. «يا غزوان، إِحْمِلْه على الأشقر» فجاء بفرس أشقر، فركبه ابنُ ملجم المراديّ، وأخذ بعنانه، فلمّا ولّى، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أريد حباءَه ويريدُ قتلي عذيرُكَ من خليلِك من مرادِ»[٢١]. قال: فلمّا كان من أمره ما كان، وضرَبَ أميرَ المؤمنين عليه السلام، قُبض عليه وقد خرج من المسجد، فجيءَ به إلى أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: «والله، لقد كنتُ أصنعُ بك ما أصنعُ وأنا أعلم أنّك قاتلي، ولكنْ، كنتُ أفعلُ ذلك بك لأستظهرَ بالله عليك»[٢٢].

وروى بسنده، قال: حدثنا سعد بن طريف عن الأصبغ قال: سئل سلمان الفارسي رحمه الله عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عليكم بعلي بن أبي طالب فإنه مولاكم فأحبوه وكبيركم فاتبعوه وعالمكم فأكرموه وقائدكم إلى الجنة فعززوه وإذا دعاكم فأجيبوه وإذا أمركم فأطيعوه وأحبوه لحبي واكرموه لكرامتي..»[٢٣].

وروى محمد بن الحسن بن جعفر بن سليمان الضبعي قائلاً: حدثنا أبي، عن أبيه، قال: حدثني يعقوب بن

الفضل، قال: حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعطيت في علي تسعا، ثلاثا في الدنيا، وثلاثا في الآخرة، واثنين أرجوهما له، وواحدة أخافها عليه: فأما الثلاثة التي في الدنيا: فساتر عورتي، والقائم بأمر أهلي، ووصيي فيهم.

وأما الثلاثة التي في الآخرة: فإني أعطى يوم القيامة لواء الحمد فأرفعه إلى علي ابن أبي طالب يحمله عني، واعتمد عليه في مقام الشفاعة، ويعينني على حمل مفاتيح الجنة.

وأما اللتان أرجوهما له: فإنه لا يرجع من بعدي ضالا، ولا كافرا. وأما التي أخافها عليه: فغدر قريش به من بعدي»[٢٤].

الهوامش

١- ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٧/ ٢٨٨. الطبقات، خليفة بن خيّاط، ٣٨٦؛ الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ٢/ ٤٨١؛ الأنساب، للسمعاني، ٢/ ٢٠٢؛ ٤/ ٨؛ تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٢/ ٨١؛ رجال الشّيعة في أسانيد السُّنّة، الطبسي، ٨٠.

٢- الأنساب، للسّمعاني، ٤/ ٨؛ أعيان الشّيعة، الأمين، ٤/ ١٠٩.

٣- الثّقات، ابن حبّان، ٦/ ١٤٠؛ اللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير، ٢/ ٢٦٠؛ ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٤٠٨.

٤- الطبقات الكبرى، لابن سعد، ٧/ ٢٨٨؛ الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ٢/ ٤٨١؛ تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٢/ ٨١، وقيل كان مولى لبني الحارث. ينظر: ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٢٩٧.

٥- كفاية الأثر، الخزاز، ٣٢١؛ ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٤٠٨؛ طرائف المقال، البروجردي، ١/ ٤٠٨.

٦- الكاشف، الذهبي،١/ ٢٩٤؛ طرائف المقال، البروجردي، ١/ ٤٢٢.

٧- أعيان الشّيعة، الأمين، ٤/ ١٠٩؛ الغدير، الأميني، ٢/ ٢٤٣.

٨- تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٢/ ٨١؛ رجال الشّيعة في أسانيد السّنة، الطبسي، ٨٣.

٩- الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ٢/ ٤٨١؛ خلاصة تذهيب التذهيب الكمال، للخزرجي، ٦٣.

١٠- سؤالات أبي عبيد الآجري، السجستاني، ٥٦/٢ – ٥٧.

١١- التاريخ، ٢/ ١٠٤.

١٢- سؤالات ابن أبي شيبة، ٥٣،٣٣.

١٣- الكاشف، ١/ ٢٩٤.

١٤- ٦/ ١٤٠.

١٥- الطبقات الكبرى، ٧/ ٢٨٨.

١٦- تقريب التهذيب، ١/ ١٦٢.

١٧- تاريخ أسماء الثقات، ٥٥.

١٨- ١/ ١٨٩.

١٩- رجال الطوسي، ١٧٦؛ رجال ابن داود، ٦٣؛ نقد الرجال، ١/ ٣٤٣؛ إكليل المنهج، محمد جعفر، ١٦١.

٢٠- الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٧/ ٢٨٨؛ كفاية الأثر، للخزار، ٣٢١؛ الكاشف، للذهبي، ٢٩٤/١؛ الغدير، الأمين، ٢/ ٢٤٣؛ الطبقات، خليفة بن خياط، ٣٨٦.

٢١- أشار إليه ابن شهرآشوب في المناقب ٣ / ٣١٠، والراوندي في الخرائج والجرائح ١ / ١٨٢

ذيل الحديث ١٤.

٢٢- الشيخ المفيد، الإرشاد، ١/ ٣٢ – ٣٣.

٢٣-٢٣- كنز الفوائد، الكراجكي،٢٠٩.

٢٤-٢٤-الأمالي، الطوسي،٢٠٩.



كتابُ دُرّةِ الغَوّاص في أَوْهام الخواصّ(٦)

الشيخ الدكتور: محمود العيداني

من حميد الأخلاق غيرةُ المرء على لغته؛ لأنّها آلةُ التواصل الاجتماعيّ، ووسيلةُ الإفهام والتفاهم، وأداةُ التعبير عن الاحتياجات الخاصّة والعامّة، وبها يُعبّر عن حَنايا الصدور، وخَلَجات النفوس، فإذا ما ضعفت قوّتها، انفرطت الوحدةُ الاجتماعيّة، وضاعت الدقّة في الاستعمال، واحتاجَ إدراكُ المعاني إلى مجهود يزيد عن الفائدة المرجوّة، لهذا، تحرّك حماةُ اللغة من قديمٍ لوضع القواعد والأسس لاستقامة اللسان، والتنبيه على مواطن الخَلل، وتقويم ما اعوجّ، والسير على هدى السابقين، مع فحصِ الأحوالِ والظروفِ المؤدّية لهذا الخلل، دون إغفالٍ لعوامل التطور والتجديد في الاستعمال.

ونظراً لقيمة اللغة العربيّة عند أهلها، والتصدّي لأيّ تحريف أو لحنٍ في استخدامها، وحرصِ علمائها على تقويم استعمالها على مرّ العصور، فقد قام عددٌ من العلماء بتأليف المعاجم اللغويّة؛ توثيقا لتراث الآباء، ومرجعاً نهتدي به عند الاختلاف، وتنميةً لما غاب عن الأذهان، وحمايةً للّغة من الضياع، وقام آخرون بتتبّع استعمال مفردات اللغة، وتصحيح الأخطاء، وبيان الفصيح والأفصح؛ استنادا على المخزون اللغويّ من كلام العرب الفصحاء.

ومن بين هؤلاء العلماء: ابنُ قتيبة في أدب الكاتب، والحريريُّ في درّة الغوّاص، فقد قاما بتقويم غير الصحيح الوارد في استخدام العوام والخواصّ، وبيان جهات القصور، سواء أكان في البنية، أم التركيب اللغويّ، أم الدلالة؛ وفق مقاييس وضوابط وأصول[1].

وقد تقدم تسليطُ الضوء على كتاب للحريريّ، القاسم بن علي بن محمّد بن عثمان، أبو محمّد، الحريريّ، البصريّ، صاحبِ المقاماتِ المعروفة المشهورة[2]، وهو كتاب (درّةُ الغوّاص في أوهام الخَواصّ)؛ لبيان بعض ما يخطئ فيه المتكلّمون بالعربيّة ويلحَنون به.

وممّا يجعلُ الكتابَ جديراً بالقراءة ليس ما جاء فيه من

معلومات وتصحيحات للّغة مهمّة وجيّدة وممّا لابدّ من تعلّمه فقط، وإنّما ما خالَطَ هذه المعلومات القيّمة من إضافات أدبيّة وقصصيّة وفكريّة وثقافيّة مختلفة، يجدر بكلّ من يهتمّ باللغة والعلمِ والمعرفةِ والثقافةِ الوقوفُ عليها، وقد وقعَ القَرارُ على اختيار بعض ما في هذا الكتاب من موارد اهتمَّ بذكرها الحريريُّ، ونَقلها على شَكل مقالاتٍ متسلسلة، وهذا المقالُ يقع ضمنَ هذه السّلسلة من المقالات.

قال (رحمه الله):

«وَمن أوهامهم أَيْضا فِي هَذَا الْفَنّ قَوْلهم: لَا أكَلِّمهُ قطّ، وَهُوَ من أفحش الْخَطَأ؛ لتعارض مَعَانِيه، وتناقض الْكَلَام فِيهِ؛ وَذَاكَ أَن الْعَرَب تسْتَعْمل لَفْظَة قطّ فِيمَا مضى من الزَّمَان، كَمَا تسْتَعْمل لَفْظَة أبدا فِيمَا يسْتَقْبل مِنْهُ، فَيَقُولُونَ: مَا كَلَّمته قطّ، وَلَا أكَلِّمهُ أبدا، وَالْمعْنَى فِي قَوْلهم: مَا كَلّمتُه قطّ، أَي: فِيمَا انْقَطع من عمري؛ لِأَنَّهُ من قَطَطْتَ الشَّيْء، إِذا قطعتَه، وَمِنْه قطَّ الْقَلَمَ، أَي: قَطَعَ طرفَه.

وَمِمَّا يُؤثر من شجاعة عَليّ (رَضِي الله عَنهُ) أَنه كَانَ إِذا اعتلى، قَدَّ وَإِذا اعْتَرَضَ، قَطّ، فالقدُّ: قطع الشَّيْء طولا، والقطُّ: قطعُه عَرضاً، وَلَفْظَة قطّ هَذِه مُشَدّدَة الطَّاء، وَهِي اسْم مَبْنِيّ على الضَّم مثل حَيْثُ ومنذُ، وَأما قطْ بتَخْفِيف الطَّاء، فَهُوَ اسْم مَبْنِيّ على السّكُون مثل قَدْ، وَكِلَاهُمَا بِمَعْنى حَسب.

وقرأتُ فِي أَخْبَار الْوَزير عَليّ بن عِيسَى أَنّه رأى كَاتبا يبري بمجلسه قَلماً فَأنْكر ذَلِك عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَالك فِي مجلسي إِلَّا القطّ فَقَطْ.

وَقد تدخل نونُ الْعِمَاد على قطّ وَقد، مَعَ ضمير الْمُتَكَلّم الْمَجْرُور، كَمَا قَالَ الراجز فِي قطّ:

(امْتَلَأَ الْحَوْض وَقَالَ قَطْني)، أَي: قد بلغ من الامتلاء إِلَى الْحَدّ الَّذِي لَو كَانَ لَهُ نطقٌ، لقَالَ: حسبي.

وَمِمَّا أنشدته من أَبْيَات الْمعَانِي:

إِذا نَحن نلنا من ثريدة عوكل
فَقدْنَا لَهَا مَا قد بَقِي من طعامها

أَرَادَ هَذَا الشَّاعِر بقوله: فَقدْنَا، أَي فَحسبُنا.

ثمَّ اسْتَأْنف فَقَالَ: لَهَا مَا قدْ بَقِي من طعامها، أَي: لَا نرزؤها بِهِ؛ لاستغنائنا عَنهُ، واكتفائنا بِمَا نلنا مِنْهُ...[٣].

وَيَقُولُونَ لما يُتَّخذ لتقديم الطَّعَام عَلَيْهِ: مائدة، وَالصَّحِيح أَن يُقَال لَهُ: خوان إِلَى أَن يحضر عَلَيْهِ الطَّعَام، فيسمّى حينئذٍ مائدة، يدلُّ على ذَلِك أَنّ الحواريّين حِين تحدّوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام بِأَن يسْتَنْزل لَهُم طَعَاما من السَّمَاء، قَالُوا: ﴿هَل يَسْتَطِيع رَبك أَن ينزل علينا مائدة من السَّمَاء﴾، ثمَّ بينوا معنى الْمَائِدَة بقَوْلهمْ: ﴿نُرِيد أَن نَأْكُل مِنْهَا وتَطمَئِنّ قُلُوبنَا﴾.

وَحكى الْأَصْمَعِي قَالَ: غَدَوْتُ ذَات يَوْم إِلَى زِيَارَة صديق لي، فلقيني أَبُو عَمْرو بنُ الْعَلَاء، فَقَالَ لي: إِلَى أَيْن يَا أصمعيُّ؟ فَقلت: إِلَى صديق لي، فَقَالَ: إِن كَانَ لفائدة، أَو عَائِدَة، أَو مائدة، وَإِلَّا، فَلَا.

وَقد اخْتُلف فِي تَسْمِيَتهَا بذلك، فَقيل: سُمّيت بِهِ لِأَنَّهَا تميدُ بِمَا عَلَيْهَا، أَي: تتحرك، مَأْخُوذ من قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾، وَقيل: بل هُوَ من مادَ، أَي: أعْطى، وَمِنْه قَول رؤبة بن العجاج: إِلَى أَمِير الْمُؤمنِينَ الممتاد، أَي: المستعطي، فَكَأَنَّهَا تميُد من حواليها مِمَّا أُحضر عَلَيْهَا.

وَقد أَجَاز بَعضُهم أَن يُقَال فِيهَا: مِيدَة، وَاسْتشْهدَ عَلَيْهِ بقول الراجز:

ومِيدَةٍ كَثِيرَةِ الألوانِ تُصنع للجيرانِ والإخوانِ

وَفِي كَلَام الْعَرَب أَشْيَاء تخْتَلف أسماؤها باخْتلَاف أوصافها؛ فَمن ذَلِك: أَنهم لَا يَقُولُونَ للقدح: كأسٌ إِلَّا إِذا كَانَ فِيهَا شراب، وَلَا للبئر: ركيّةٌ إِلَّا إِذا كَانَ فِيهَا مَاء، وَلَا للدلو: سجل إِلَّا وفيهَا مَاء وَلَو قلّ، وَلَا يُقَال لَهَا: ذَنُوبٌ إِلَّا إِذا كَانَت مَلآى، وَلَا يُقَال أَيْضا للبستان: حديقةٌ، إِلَّا إِذا كَانَ عَلَيْهِ حَائِط، وَلَا للإناء: كوزٌ إِلَّا إِذا كَانَت لَهُ عُرْوَة، وَإِلَّا، فَهُوَ كوب، وَلَا للمجلس: نَادٍ إِلَّا وَفِيه أَهله، وَلَا للسرير: أريكةٌ إِلَّا إِذا كَانَت عَلَيْهِ حجلة، وَلَا للْمَرْأَة: ظَعِينَةٌ إِلَّا مَا دَامَت راكبةً فِي الهَودَج،

وَلَا للستر: خِدْرٌ إِلَّا إِذا اشْتَمَل على امْرَأَة، وَلَا للقدح سَهمٌ: إِلَّا إِذا كَانَ فِيهِ نَصلٌ وَرِيشٌ، وَلَا للطبق: مهدىً إِلَّا مَا دَامَت فِيهِ الْهَدِيَّة، وَلَا للشجاع: كميٌّ إِلَّا إِذا كَانَ شاكيَ السِّلَاح، وَلَا للقناة: رمحٌ إِلَّا إِذا ركب عَلَيْهَا السِّنان، وَعَلِيهِ قَول عبد الْقَيْس بن خفاف البرجمي:

وأصبحت أَعدَدْت للنائبات عرضاً بريّاً وعضباً صقيلا
وَوَقع لِسَان كَحَدّ السِّنان ورُمحاً طَوِيلَ الْقَنَاةِ عَسولا

وَلَو كَانَ الرمْح هُوَ الْقَنَاةُ، لقَالَ: رمحاً طَويلا؛ لِأَن الشَّيْء لَا يُضَاف إِلَّا إِلَى ذَاته.

وَمن هَذَا النمط أَيْضا أَنه لَا يُقَال للصوف: عِهْنٌ إِلَّا إِذا كَانَ مَصبوغاً، وَلَا للسرب: نفقٌ إِلَّا إِذا كَانَ مخروقاً، وَلَا للخيط: سمطٌ إِلَّا إِذا كَانَ فِيهِ نظمٌ، وَلَا للحطب: وقودٌ إِلَّا إِذا اتّقدت فِيهِ النَّار، وَلَا للثوب: مطرفٌ إِلَّا إِذا كَانَ فِي طرفه علمَان، وَلَا لماء الْفَم: رضابٌ إِلَّا مَا دَامَ فِي الْفَم، وَلَا للْمَرْأَة: عانسٌ وَلَا عاتقٌ إِلَّا مَا دَامَت فِي بَيت أَبَوَيْهَا، وَلذَلِك لَا يُقَال للأنبوبة: قلمٌ إِلَّا إِذا بُريت.

وأنشدني أحدُ شُيُوخنَا رَحمَه الله لأبي الْفَتْح كَشاجم:

لَا أحبُّ الدواةَ تحشى يَراعاً
تِلْكَ عِنْدِي من الدّويِّ مَعِيبَه
قلمٌ وَاحِدٌ وجودةُ خطٍّ
فَإِذا شِئْتَ فاسترْدْ أنبوبه
هَذِه قَعدةُ الشجاعِ عَلَيْهَا
سيرُه دائباً وَتلك جنيبَه»[٤].

الهوامش

١- من مقالة للأستاذة أنسام محمد الحسيني، بعنوان (الإنتصار للخواص من الحريري الدلالة أنموذجا)، منشور في مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد العدد (٨) ٢٠١٦، ص١٣.

٢- أنظر ترجمته المفصلة في: الأنساب للسمعاني: ٤/ ٩٥ و ١٢١، المنتظم لابن الجوزي: ٢٤١/٩، معجم الأدباء لياقوت الحموي: ٢٦١/١٦، وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٦٣، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ص١٢٥٧، والعبر: ٤/ ٣٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٦٣، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ص ١٢٥٧، وطبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ٢٦٦، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى: ٥/ ٢٢٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٤/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤، ٢٢٨.

٣- درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ، المحقق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨هـ، ص١٩ـ٢٠.

٤- المصدر: درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ، المحقق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨هـ، ص٢٤ـ ٢٨.



تاريخُ جُسور قَضاء المْدَيْنَة

د. مشتاق عيدان اعبيد

قضاءُ (المْدَيْنَة) جزيرةٌ يحيط بها نهرُ الفرات، وكانت القواربُ النهريّة هي الوسيلة الوحيدة لبلوغ العالم الخارجيّ، وبما أنَّها كانت ناحية تابعة لقضاء القُرنة، فقد قام أحمد زكي الخيّاط، قائم مقام القرنة عام ١٩٢٩م بفتح طريق ربطها بالشِّرش، ومنه إلى البصرة، بعد أنْ اتّفق مع شيوخ العشائر بطريقة العمل الشعبيّ، من أجل معالجة مشكلة الفيضان من جهة الهور على أن يشيّدوا حاجزاً ترابيّاً بين الهور والقرى والبساتين في ناحية بني منصور، فانقطعت مياه الهور، وجفّت الأراضي، وقد اتُّخذ هذا الحاجز الكبير، الذي يبلغ طوله أربعة عشر كيلو متراً طريقاً للسيارات يصل بين قرية الشرش ومركز ناحية المدينة، وقد افتتحه القائم مقام بأوّل سيّارة مرّت عليه بعد تسويته، وبعد ذلك بني جسرٌ بسيطٌ على نهر عنتر، بين جهة منطقة الوحَيّد والتمّار، وبذلك أصبح الطريق الوحيد إلى مركز البصرة، وفي عام ١٩٧١م أنشئ جسرٌ حديديٌّ على نهر عنتر بدلا من الجسر القديم.

أمَّا من جهة ناحية الهوير، فلم يكن هناك جسر، وكان الانتقال بواسطة القوارب لعبور نهر الفرات، أمَّا الطريق الترابيُّ المتّصل بين الهوير والقرنة، فكان غيرَ معبّد وكثير الحفر، فعند زيارة عبد السلام عارف عام ١٩٦٦م، أمر باصلاحه، وبعد ذلك وضع ضمن خطّة الإدارة المحلّية في البصرة، وخُصِّص له مبلغ من المال لإتمامه، وبعد ذلك أصبح مرآبُ السيّارات في منطقة الفتحيّة، في الجانب المقابل لناحية المدينة.

وكان الناس يعبرون عن طريق البلم العشّاريّ ذي المحرّك، أو عن طريق (الطبكة) أو العبّارة، ولكن، بعد أنْ تحوّلت ناحية المدينة إلى قضاءٍ في عام ١٩٧٨م، تمّ إنشاء جسر من الدوب على نهر الفرات يربطها مع الفتحيّة، وفي عام ١٩٨٢م نُفّذ طريقُ قرنة مدينة جبايش، بممرّ واحد بطول ثلاثين كيلومترا وعرض سبعة أمتار، بتنفيذ مباشر من قبل مديريّة طرق وجسور البصرة، وبسُمكِ تبليطٍ أربعة عشر سنتيمترا،



وبطبقتين أساس قيريّ، ويبدأ من القرنة، ثمّ ناحية الهوير، ثمّ قرية الخاصّ، ثمّ قضاء المدينة، مخترقاً هور الحمّار وصولاً إلى ذي قار، وعليه عدد من القناطر والجسور، مع عدد من العلامات المروريّة، وهذا الطريق تعرَّض للفيضان في عام ١٩٨٨، وتمّ رفعه من خلال التعلية الترابيّة. وعلى هذا الطريق تمّ إنشاء جسرٍ كونكريتيّ على نهر الفتحيّة نُفّذ في عام ١٩٨٢ من قبل المنشأة العامّة لتنفيذ الجسور، بطول أربعين متراً وعرض ثمانية أمتار، وبممشىً للسابلة بعرض ١,٥ متراً، ويتكوّن الجسر من ثلاثة فضاءات بحمولة ثمانين طناً.

وفي العام نفسه نُفّذ جسرُ نهر عنتر الكونكريتيّ إلى جانب الجسر الحديديّ القديم، يتكوّن من أربعة فضاءات بطول خمسة وثمانين متراً، وعرض ثمانية أمتار، وممرَّين للمشي بعرض متر واحد. وفي عام ١٩٨٣م تمّ تنفيذ جسر المدينة الكونكريتيّ على نهر الفرات من قبل شركة فرنسيّة، وبإشراف دائرة تنفيذ الجسور، بطول ستمئة وخمسة وثلاثين متراً، وعرض ممرّ السيّارات تسعة أمتار، وممرّات السابلة بعرض مترين ونصف المتر، وبحمولة ثمانين طناً.

ويتكوّن الجسرُ من ثمانية عشر فضاء بطول خمسة وثلاثين متراً، وعدد الروافد لكلّ فضاء سبعة روافد، بطول ٣٢,٩٠ متر. وفي الخامس والعشرين من كانون الثاني ١٩٩١ تعرّض الجسر إلى القصف الأمريكيّ، وبضربات متكرّرة، ممّا أدّى إلى تدمير كامل للفضاء السابع والثالث عشر، وزحف بمقدار خمسة عشر سنتيمترا باتجاه الجنوب للفضاء الثامن، وتدمير خمسة روافد، وإلحاق أضرار بالرافدين المتبقّيين من الفضاء التاسع، وتدمير ثلاثة روافد، وإلحاق أضرار بالروافد المتبقية للفضاء العاشر، وتدمير الأسيجة الوقائية وأعمدة الإنارة وممرّات الخدمات وسطح التبليط، وقد كلّفت وزارة الإسكان والتعمير شركةَ التحرير للمقاولات بإعادة إعمار هذا الجسر، وتم إنجاز ذلك عام ١٩٩٢، وفي اليوم ذاته تعرّض جسرُ الفتحيّة للقصف الأمريكيّ بضربات مباشرة ومؤثّرة، أدَّت إلى تحطيم اثنين من روافد الجسر الحديديّة، مع سطح الجسر، وأدَّى إلى سقوط الكونكريت في الماء، وقد تمّ تكليف شركة الرشيد للمقاولات إحدى تشكيلات وزارة الإسكان والتعمير، بإنشاء قنطرة بديلة عن الجسر، وقد تمّ انجازُها وفتحُها للسير في عام ١٩٩٢.

وفي شهر آب ٢٠١٩م تمّ افتتاح جسر (الشيخ مجتبى عبد الباقي) العائم من قبل الحكومة المحليّة في المحافظة وقسم الإنقاذ التابع لشركة الموانئ؛ ليربط قريةَ الخميسة في ناحية الهوير وقضاء المدينة عبرَ نهر الفرات بطول ٣٥٠ متراً، ضمن مبالغ المنافع الاجتماعيّة الخاصّة بالشركة، وبمدّة تجاوزت عامين، وبالتنسيق مع أهالي القرية والحكومة المحليّة في المدينة والهوير؛ لفكّ الزخم على جسر قضاء المدينة الكونكريتيّ.

رَبعِيّ بن عبدِ الله بن الجارودِ البَصْرِيّ

الشيخ عليّ الغزّي

رَبْعيُّ بنُ عبدِ الله بن الجارود بن أبي سبرة، العبديّ، الهذليّ، أبو نعيم، بَصريّ، عَربيّ، روى عن أبي عبد الله و أبي الحسن عليهما السلام، وصحبَ الفُضيلَ بنَ يَسار، وأكثرَ الأخذَ عنه، وكان خَصيصاً به، له كتاب -وقيل: أصلٌ- رواه عِدَّةٌ من أصحابنا[1].

قَالَ الكشّي: «قَالَ محمّد بن مسعود: سألتُ أبا محمّد عبد الله بن محمّد بن خالد الطيالِسيّ عن ربعيّ بن عبد الله، فقال: هو بصريّ، هو ابن الجارود، ثقة»[2].

وقال النجاشيُّ: «ثقة»[3].

ونقل ابنُ أبي حاتم عن «يحيى بن معين، قال: ربعيُّ بنُ عبد الله الهذليّ، صالحٌ، حدّثنا عبدُ الرحمن قال: سألت أبي عن ربعيّ بن الجارود، فقال: صالحُ الحديث»[4].

وقال الذهبيُّ وإبنُ حجر: «صدوق»[5].

وَعَدَّهُ ابنُ حبّان في الثّقات[6].

قبسٌ من رواياتِهِ[7]

ما روي في المحاسن للبرقيّ عن «أبيه، عن حمّاد بن عيسى الجهنيّ، عن ربعيّ بن عبد الله الهذليّ، عمّن ذكره، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال: إنَّ الله خلق النبيّين من طينة علّيين، قلوبُهم وأبدانهم، وخلقَ قلوبَ المؤمنين من تلك الطينة، وخلقَ أبدان المؤمنين من دون ذلك»[8].

ما روي في المحاسن للبرقيّ عن «أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعيّ بن عبد الله، عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام، قال: للعالم إذا سُئِلَ عن شيء وهو لا يعلمه أن يقول: اللهُ أعلم. وليس لغير العالم أن يقول ذلك»[9].

ما روي في المحاسن للبرقيّ عن «أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعيّ بن عبد الله، عن فُضيل بن يَسار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سلامةُ الدِّين وصحّةُ البدن خيرٌ من زينة الدنيا حَسْب»[10].

ما روي في المحاسن للبرقيّ عن «أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعيّ بن عبد الله، عن الفُضيل بن يَسار، قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: العلمُ علمان، فعلمٌ عند الله مخزون، لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، وعلمٌ علّمه ملائكتَه ورسلَه، فأمّا ما علَّمَ ملائكتَه ورسلَه، فإنَّهُ سيكون، ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلمٌ عنده مخزونٌ يقدّم فيه ما يشاء، ويؤخّر ما يشاء، ويثبت ما يشاء»[11].

ما روي في المحاسن للبرقيّ عن «محمّد بن خالد، عن حمّاد، عن ربعيّ بن عبد الله، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام،

في قول الله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾، فقال: والله، ما صلّوا لهم ولا صاموا، ولكنّهم أحلّوا لهم حَراماً وحرَّموا عليهم حلالاً فاتّبعوهم»[12].

ما روي في المحاسن للبرقيّ عن أبيه، عن «حمّاد بن عيسى، عن ربعيّ بن عبد الله، عن فُضيل بن يَسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أكلتَ أو شربتَ، فقل: الحمد لله»[13].

ما روي في الكافي عن «محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعيّ بن عبد الله، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الكمالُ كُلّ الكمال التفقُّه في الدِّين، والصبرُ على النائبة، وتقديرُ المعيشة»[14].

ما روي في الكافي عن «عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعيّ بن عبد الله، عن فُضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصبرُ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأسُ، ذهب الجسدُ، كذلك إذا ذهب الصبرُ، ذهب الإيمان»[15].

ما روي في الكافي عن «عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعيّ بن عبد الله، عن فُضيل بن يَسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أشدّ النَّاس بلاءً الأنبياءُ، ثُمّ الأوصياءُ، ثُمّ الأماثلُ فالأماثل»[16].

الهوامش

١- رجال النجاشي: ١٤٤/١٦٧، الفهرست: ٢٤٩/١٢٨، رجال الشَّيخ: ٢٦٣٤/٢٥٠، التاريخ الكبير: ١١٠٧/٣٢٧/٣.

٢- رجال الكشي: ٦٧٠/٦٥٣/٢.

٣- رجال النجاشي: ١٤٤/١٦٧.

٤- الجرح والتعديل: ٢٣٠٨/٥٠٩/٣.

٥- الكاشف: ١٥٢٢/٣٩٠/١. تقريب التهذيب: ١٨٨٠/٢٠٥/١.

٦- الثقات، لابن حبان: ٧٨٥٨/٣٠٨/٦.

٧- له ما يقرب من ١٢٧رواية.(ينظر: رواة البصرة ورواياتهم عن اهل البيت، الشيخ علي سعدون الغزي:٤٧٨/٣)

٨- المحاسن: ١٣٢/١/ح٦.

٩- المحاسن: ٢٠٦/١/ح٦٤.

١٠- المحاسن: ٢١٩/١/ح١٢٠.

١١- المحاسن: ٢٤٣/١/ح١٣١.

١٢- المحاسن: ٢٤٦/١/ح٢٤٥.

١٣- المحاسن: ٤٣٤/٢/ح٢٦٧.

١٤- الكافي: ٣٢/١/ح٤.

١٥- الكافي: ٨٩/٢/ح٥.

١٦- الكافي: ٢٥٢/٢/ح٤.



قراءةٌ تربويّةٌ ونفسيّة

في نصائح الإمام السيستانيّ (دامَ ظلُّه) للمقاتلين في ساحات الجهاد

الدكتور: نجم عبد الله الموسويّ

إنَّ حياةَ الجهاد والدفاع بصورة خاصّة , توجبُ وجودَ مجموعة من الصفات والخصائصِ التي تميّز المقاتلَ عن غيره من الآخرين، منها مهاراتٌ وصفاتٌ شخصيّةٌ عامّةٌ، ومنها مهارات عسكريّة بحتةٌ تقتضيها طبيعةُ العمل العسكريّ دامظله على أن تكون كلُّ هذه الصفات والمهارات مناطةً بطاعةِ الله تعالى وتوجيهاتِ المعصومين عليهم السلام.

وإنَّ أهمَّ ما يميّزُ المقاتلَ المطيعَ لمولاه ولمرجعيّتِه الرشيدةِ هو احترامُ ذاتِه، والثقةُ العاليةُ بنفسه وبمقدّراته، والاطمئنان والإيمان بمشروعيّة العمل الذي يؤدّيه دفاعاً عن دينه وأرضه وعرضه ومالِه.

فالخبرةُ الميدانيّة للمجاهد والمقاتل حالةٌ ضروريّةٌ جدّاً ؛ فالعمل الواعي غيرُ العمل بلا شعور أو وعي؛ فالخبرةُ

الذاتيّةُ في الشخصيّة العسكريّة ضرورةٌ حتميّةٌ, وهي تعتمد على النضجِ المعرفيّ والانفتاحِ العلميّ والاستبصارِ واعتمادِ المنهجِ العلميّ المعاصرِ في إدارة شؤون العَسكَر دام ظله وكلُّ هذه الامورِ غيرُ كافيةٍ ما لم تكن محاطةً بهالةِ الطاعة للهِ واتّباعِ سيرةِ نبيّه محمدٍ صلى الله عليه وآله وتوجيهاتِ المعصومينَ دام ظله وما يصدر من المرجعيّةِ الرشيدةِ الواعيةِ الناضجة.

ومن خلال متابعةٍ سريعةٍ لنصائح وتوجيهات الامام السيستانيِّ دامَ ظلُّه، يمكن أن نستنتج ما يأتي:

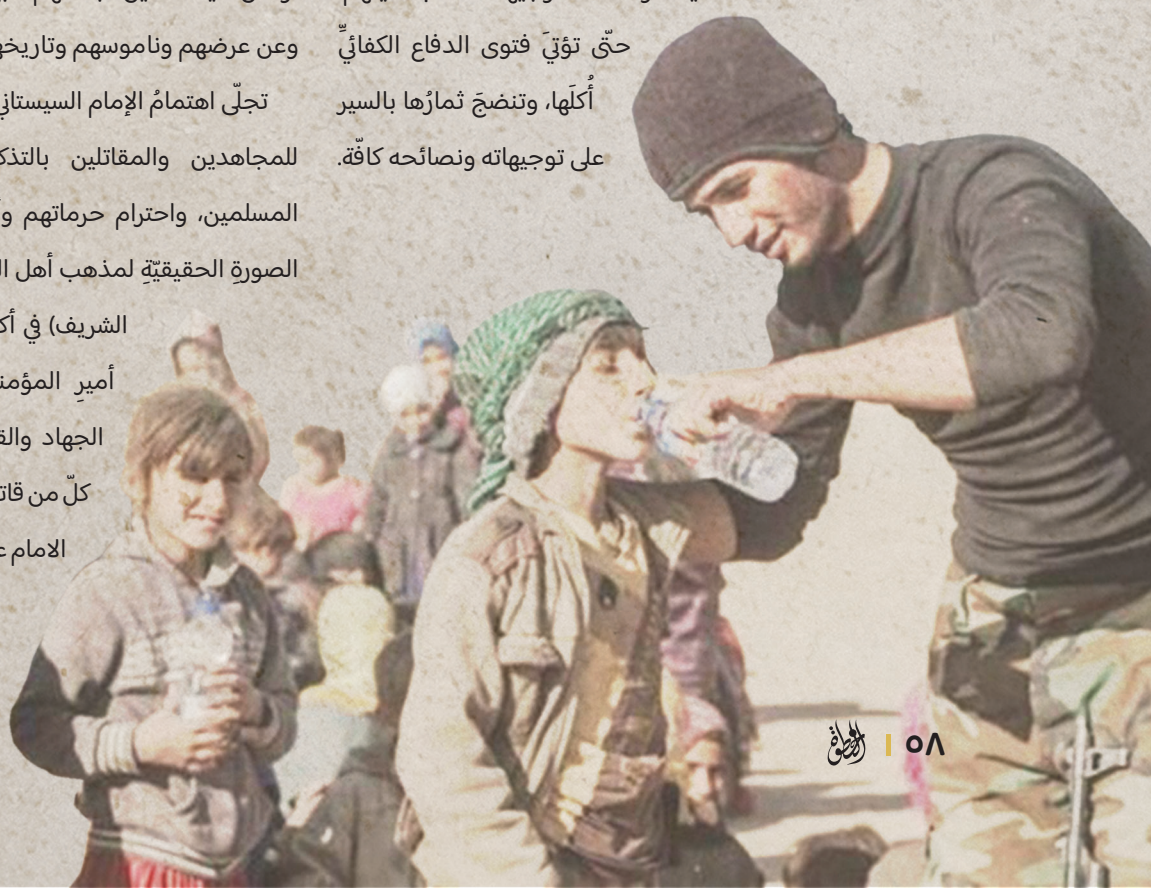
إنَّ نصائحَ وتوجيهاتِ الامامِ السيستانيِّ دام ظله أعطت طابعاً تربويّاً ونفسيّاً كبيراً، ومثّلت دعماً ايجابيّاً وطاقةً عظيمةً، جعلت المجاهدينَ المنفذّينَ لفتواه الشهيرةِ في الدفاع الكفائيِّ ممتثلينَ لنصائحِه وتوجيهاتِه السديدة دام ظله فكانت حقّاً نبراساً مكمّلاً لهذه الفتوى دام ظله فكأنّما النصائحُ والتوجيهاتُ قد أعطت كمالاً روحيّاً لهذه الفتوى، ومثّلت امتدادَ الفتوى إلى نهاية تحريرِ العراقِ، وحتّى ما بعدَ داعش.

إنَّ المتمعِّنَ في هذه التوجيهات، يراها قد أخذت طابعَ الكمال؛ فليسَ التأهُّبُ والدخولُ إلى ساحات المعركة أموراً كافيةً في نظر سماحته دام ظله فكأنّه أراد من أبنائه المقاتلين أن يضعوا هذه التوجيهات نصبَ أعينهم؛ حتّى تؤتيَ فتوى الدفاع الكفائيِّ أُكلَها، وتنضجَ ثمارُها بالسير على توجيهاته ونصائحه كافّة.

ركّز سماحةُ الامام السيستانيِّ دام ظله في توجيهاته على البناء الشخصيِّ للمقاتلين؛ كونَ الشخصيّة هي مجمل السلوك الانسانيّ للفرد دام ظله وأنَّ المجاهدَ لا بد أن يراقب اللهَ تعالى في كلّ ما يصدر منه من تصرّفات وأقوال وأفعال، وبذلك يكون سلوكُه ضمن دائرة الطاعة العمياء لله تعالى، فينطلق في جهاده ممّا رسمته السماء من أوامر دام ظله فيكونُ المقاتل واضعاً محرّكاتِ سلوكِه تحتَ طاعة الله تعالى وليسَ تحت طاعة أهوائِه وغرائزِه؛ فجهادُه لله أوّلاً، وللوطن ثانياً، ولما يُرضى اللهَ ثالثاً دام ظله وليس للعصبيّة وللتشفّي وللانتقام.

هدفت التوجيهاتُ والنصائحُ الخاصّة بالمقاتلين الى خلق حالة الولاءِ التنظيميِّ (Organizational Commitment)، الذي يقصد به: مدى قدرة الفرد على الاندماج والتكيّف مع المجموعة التي ينتمي إليها دام ظله الأمرُ الذي يجعله يتمتّعُ بالانسجام والرضا والقبول والتفاعل مع أبناء المجتمع الآخرين؛ كونَ هذا المقاتل جزءاً من مجتمع مسلمٍ، أو جزءاً من مجتمعه العراقيّ، أو جزءاً من المقاتلين الذين جمعهم حبُّهم لأرضهم ودفاعهم عنها دام ظله وممّا نراه على أرض الواقع، أنّ في المجاهدين ممّن يختلف من حيث المذهب أو من حيث الدين، جمعهم حبُّهم لأرضهم ودفاعهم عنها وعن عرضهم وناموسهم وتاريخهم وحضارتهم.

تجلّى اهتمامُ الإمام السيستانيِّ دام ظله في نصائحه السديدة للمجاهدين والمقاتلين بالتذكير الدائم بحفظ دماء المسلمين، واحترام حرماتهم وأعراضهم وأموالهم، ورسمِ الصورةِ الحقيقيّةِ لمذهب أهل البيت عليهم السلام؛ إذ ربط (دامَ ظلُّه الشريف) في أكثر الاحيان نصائحَه بسلوكِ أميرِ المؤمنين عليٍّ عليه السلام في ساحات الجهاد والقتال، وكيف أنَّه تصرّف مع كلّ من قاتله تصرّفاً إلهيّاً دقيقاً؛ بوصف الامام عليٍّ عليه السلام القرآنَ الناطقَ.





أراد الامامُ السيستانيُّ (دامَ ظلُّه الشريف) أن يصوغ ويبني المنطلقاتِ الفكريّةَ للمقاتل؛ فيكونَ واعياً حاذقاً بما يدور حوله من أمور دام ظله فلا يتأثّر بالمغريات الماديّة، ولا بالأجواء غير الاسلاميّة، ولا بالإعلام المعادي، الذي يحاول أن يستفزَّ المجاهدينَ أو يقلّلَ من شأنهم دام ظله فالمقاتلُ والمجاهدُ الحقُّ هو الذي يكون حذراً نبهاً فطناً حاذقاً، لا سيما أنَّ عدوَّه يتربَّص به، ويريد أن ينال منه ومن سمعته وسلوكه.

انطلق الإمامُ السيستانيُّ دام ظله في نصائحه في بيان أنَّ فريضة الجهاد تتمُّ بصورة واضحة عن طريق انتماء الفرد إلى مجموعة والتعاون بين أفراد المجموعة دام ظله والتفاعل بينه وبين مجموعة المسلمين والمؤمنين في إنجاز الواجب العباديّ المحدَّد لهم دام ظله بحيث يتحمَّل كلُّ فرد جزءاً من المسؤوليّة الفرديّة والجماعيّة دام ظله وبهذا يكون عملهم وهدفهم مشتركاً دام ظله وهو انجاز البرنامجِ العباديِّ الذي ينتمون إليه دام ظله الأمرُ الذي تكون فيه المجموعةُ الإسلاميّةُ المجاهدةُ وحدة واحدة دام ظله يشترك الأفراد كلُّهم فيها في عمل واحد دام ظله وعدم الاشتراك أو التفرّد بالرأي يؤدّي إلى الفشل في أغلب الأحيان.

حرص الامامُ السيستانيُّ في توجيهاته الشريفة على ضرورة الحفاظ على كلّ مباديء حقوقِ الانسان في الاسلام، تلكمُ المباديءُ التي تكرّمُ الانسانَ بصفته الانسانيّة، وتحترم ألوانَ البشر ومواطنَهم وأنسابَهم وجنسَهم دام ظله فنرى أنَّ حقوقَ الانسانِ كانت مداراً أساسيّاً في بناء توجيهات الامام السيستانيِّ دام ظله وكذا لم يغفل دام ظله الحقوقَ الفكريّةَ للآخرين؛ باعتبار أنّ لهم منطلقاتِهم الفكريّةَ الخاصّةَ بهم دام ظله فلا بدّ من احترامها وعدم التجاوز عليها.

سعى الامامُ السيستانيُّ دام ظله الى تأكيد وتأصيل البناء النفسيِّ العسكريِّ؛ لما يحتاج إليه المجتمعُ العسكريُّ من توجيهاتٍ ونصائحَ سديدةٍ، تسهم في إضفاء الروح الايمانيّةِ على نفسيّةِ المقاتل وشخصيّته دام ظله فيكون شخصيّةً مقتدرةً صلبةً واعيةً، تسير على وفق التوجيهات الالهيّة، لا شخصيّةً عشوائيّةً فوضويّةً تعيثُ في الأرض فساداً.

حاولَت توجيهاتُ الامام السيستانيِّ دام ظله خلقَ حالةِ المجتمع التنظيميِّ للعَسكَر وللمجاهدينَ، وأنَّ هناك رؤيةً ثاقبةً اسلاميّةً حقيقيّةً لا بدّ من اعتمادها، وأنَّ الجهادَ لا يبيحُ المحضوراتِ أو يسمحُ بالاعتداء، بل إنّه لا بدَ من أن يكون هناك وازعٌ دينيٌّ وأخلاقيٌّ وتربويٌّ ونفسيٌّ، يحكمُ المقاتلَ ويوجّهُه نحو الجهة المناسبة والملائمة ويرشده إليها.

عملت التوجيهاتُ المباركةُ على زرع الصحّة النفسيّة لدى المجاهدِ والمقاتلِ، وضمانِ حالةِ التكيُّفِ، وعلى أن يبتعدَ المجاهدونَ عن كلّ ما يعيقُ حالةَ تكيّفهم مع الاخرين باختلاف المسمّيات العقائديّة والحزبيّة؛ لأنَّ عدمَ التكيّف أحدُ عوامل الاحباط النفسيِّ، وقيادة المجتمع نحو حالة من الفشل والعدوان والقلق والصراع النفسيّ.

أسندت توجيهاتُ الامامِ السيستانيِّ للمجاهدين ضرورةَ ضبطِ النفس والسيطرة عليها، وخلقِ حالة الهدوءِ والطمانينةِ والاستقرار دام ظله وأنّ سلبَ هذه الصفات من شخصيّةِ ونفسيّةِ المجاهدِ يؤدّي إلى حالة من التسرّع في اتّخاذ القرار، أو التعصُّب، أو اتّخاذ قرار غير مناسب أو ملائم للموقف العسكريّ دام ظله فالهدوءُ وعدمُ الاضطراب عاملان أساسيّان في شخصيّة المقاتل، وهذا ما أكّدته كلُّ أدبيّات علم النفس العسكريّ.

وظَّفَ سماحةُ الامامِ السيستانيِّ العديدَ من مبادئ الاسلام ومبادئ علم النفس في توجيهاته السديدة؛ بهدفِ بناء المجاهد، وتطويرِ شخصيّته، ورفعِ مستوى الحالة المعنويّة لدي، وتحسين كفاءته الانتاجيّةِ في جبهات القتال.

توجَّه سماحةُ الامامِ السيستانيِّ في خطبه ونصائحه الشريفة إلى المقاتلين والمجاهدين بوجوب أن يتصفوا بشرف الجهاد، وما تحمله الكلمة من معانيَ ساميةٍ وجليلةٍ؛ فالدفاع عن الدين والوطن شرفٌ لا يدانيه شرف، فيجب أن يكون السلاح موجّها نحو الأعداء الحقيقيّين، ويلزم النأيُ به عن الابرياء دام ظله ومن غُرّر بهم من الصبيان والنساء.

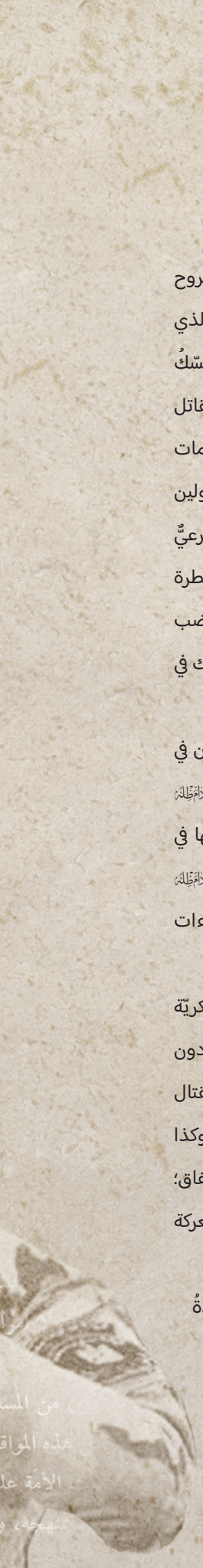
. اتّخاذ سياقِ التحلّي بالصبرِ وضبطِ النفس وعدمِ التهوّر والتسرّع في بدء المعركة؛ لأنَّ ذلك من توصيات المعصومين، وخصوصاً أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام؛ إذ أنّه لم يبدأ بقتال قطّ؛ فقرارُ شنِّ الحرب يبدأ من العدوّ، ومن الضروريِّ للمجاهدين الاستعدادُ للمواجهة والدفاع والتصدّي بحزم وقوّة وعَزم.

عمل سماحةُ السيّد السيستانيِّ دام ظله على خلق الروح المعنويّة العالية لدى المقاتلين؛ فالجنديُّ الشجاعُ هو الذي يتحلّى بالقيم والمفاهيم الإسلاميّة الصحيحة، ويتمسّكُ بها، فيكون صرحاً ثابتاً وشامخاً من خلال تحلّيه أي: المقاتل بالضوابط والتعليمات السماويّة فضلاً عن التعليمات والتوجيهات العسكريّة التي تصدر من القادة والمسؤولين القائمين على المؤسّسة العسكريّة، فالمعركةُ التزامٌ شرعيٌّ وتحمّلٌ للمسؤوليّة، فلا مجالَ فيها للانفلات وعدم السيطرة على النفس والهوى، ولا مجالَ فيها للانصياع وراء الغضب والملذّات والحقد والكره والعدوانيّة، بل المقاتلُ يتحرّك في كلّ سلوكه ضمن دائرة السماء وتعاليمها النافذة.

من خلال الحديث مع بعض المقاتلين والمجاهدين في الدفاع الكفائيّ، بين هؤلاء أنَّ توجيهات الامامِ السيستانيِّ دام ظله كانت معهم في حلّهم وترحالهم، وطالما كانوا يقرؤونها في أوقات فراغهم بعد قراءة القرآن ودعاء أهل الثغور دام ظله الأمر الذي يدلّ على وجود قدسيّة حقيقيّة لهذا الاضاءات والومضات الصادقة التي صدرت من الامامِ دام ظله.

هذه التوجيهات تعدّ من أهمّ مقوّمات الحياة العسكريّة للمجاهد والمقاتل، ولمختلف الرتب العسكريّة، ومن دون تمايز دام ظله فالاستعدادُ النفسيُّ والدافعيّةُ الجيدةُ للقتال من شأنهما بناء الإرادة والصمود لدى المقاتلين, وكذا زيادةُ الإنتاج وإجادتُه من دون الوقوع في العجز والإخفاق؛ فالشخصيّة الهادئةُ المتّزنة قادرةٌ على حسم أمور المعركة واتّخاذ القرارات الناجحة عند الحاجة.

مثّلت فتوى الدفاع الكفائيِّ والتوجيهاتُ السديدةُ للمقاتلين إيقونةً إنسانيّةً أخذت طابعَها العالميَّ في بيان التوجه الحقيقيّ للمرجعيّة الشيعيّة نحو الإنسانيّة، ونحو التعايش السلميّ والتسامح والتعاون، وأنّها أي: المرجعيّة ليست فئويّةً أو طائفيّةً أو مناطقيّةً، وأنَّ الخطابَ



الذي ترتكز عليه المرجعيّةُ الدينيّة خطابٌ إنسانيٌّ ليس فيه أيّةُ عدائيّةٍ أو حقدٍ أو كراهيةٍ، وهو مستمدٌّ من الدين الإسلاميّ ومن توجيهات الرسول محمّد ' وعترته الطاهرة عليهم السلام.

وختاماً، لا بدّ من الإشارة بواقعيّة وعدم تحيّز إلى أنَّ هذه التوجيهاتِ تتضمّن قيماً ونظماً أخلاقيّةً ساميةً أخذت حيّزاً كبيرا في نفوس المقاتلين، وفي سلوكهم وتصرّفاتهم دام ظله فضلاً عن أنَّ هذه التوجيهات كانت قد نُظمت وكُتبت وكأنَّها مبادئُ أساسيّةٌ من مبادئ علم النفس العسكريّ، الذي يطمح إلى رفع الحالة المعنويّة للمقاتلين في ساحة المعركة.





السيّد عليّ الهاشميّ

شاعرُ الابداعِ والالتزام

د. محمّد قاسم نعمة

تضمُّ البصرةُ قديماً وحديثاً أسماءً من المبدعين على جميع المستويات، لكنَّ القدرَ لم يكتب لهم أن يُعرفوا أو يَشتهروا بين الأوساط الأدبيّة والثقافيّة بشكلٍ واسع، وهذا ما يدعو الى تكثيف الجهود نحو البحث عن تلك الأصوات المبدعة والمتميّزة؛ لتضافَ الى التراث البصريِّ الثريِّ والعميق منذ تأسيسها الى يومنا الحاضر، ومن بين هذه الأسماء التي لم يُكتب لها أن تعرف بوصفها شاعراً لا يقلّ شأناً عن شعراء لهم حضورهم في الحياة الأدبيّة، هو الشاعرُ السيّد عليّ الهاشميّ.

ظروفُ النشأة

وُلد السيّد عليّ الهاشميّ في محلّة السّيمَر في البصرة القديمة سنة ١٩٤٠ في أسرة علويّة مرموقةٍ، فمنذ نعومةِ أظافره كان يسمع العزاءَ الحسينيَّ يرنّ في أرجاء منزلهم المتواضع؛ فقد تشرَّبَ حبَّ أهل البيت وهو فتى يافعٌ، فنشأ متفاعلاً مع قضايا الأمّة، رافضاً للظلم، لاسيما في حِقبة البعثِ المجرِم، فضلاً عن الثقافةِ الأدبيّة والشعريّة التي كان يتلقّاها من محيطه الأسري، فربّما كانت هذه الظروفُ وسواها ما شكّلَ مزاجَه الابداعيَّ لاسيّما وإنّ المرحلة التي

عاشها شأنه شأن أقرانه في ستّينيّات وسبعينيّات القرن الماضي كانت حافلةً بالتيارات السياسيّة فضلاً عن الفنّية والأدبيّة، فكان من الطبيعيّ أن يتأثّر بشعراء الكلاسيكيّة الجديدة، وعلى رأسهم أحمد شوقي، والجواهريُّ، والزهاويُّ، والرصافيُّ، وعبد المحسن الكاظميُّ، وسواهم.

لم تُتح الظروفُ الاقتصاديّةُ والاجتماعيّةُ أن يكمل السيد علي الهاشميّ دراستَه، لكنَّ الهاجسَ الثقافيَّ استمرَّ معه دون انقطاع، فكانت حصيلةُ ذلك أن تكوَّنَ لديه رصيدٌ لغويٌّ وثقافيٌّ مكّنه من كتابة القصيدة العموديّة بامتياز. توفي السيّد عليّ الهاشميّ عام ٢٠١١، مخلّفا إرثاً شعريّاً حاول في سنواته الأخيرة نشرَه لكنّ القدر حال دون ذلك.

فنّه الشعريّ

بدأ الهاشميُّ كتابةَ الشعر منذ ستينيّات القرن الماضي؛ فقد تأثّر بالتيّارات السائدة في ذلك الوقت، سواء الدينيّة منها أو الثقافيّة، وكذا اطّلع على الشعر العربيّ قديمِه وحديثِه، ممّا شكّل لديه وعياً بين الكلاسيكيّة والحداثة، قرأ المعلّقاتِ الجاهليّةَ، وعبّرَ عن تأثُّره بأسلوبها ومفرداتها من خلال قصائدَ حملت النفسَ التقليديَّ للقصيدة العربية، ومن ذلك قولُه:

واهاً وألفَ ضيـــاعِ ... لنفسيَ المعطـــاءِ
أهوى وكلّي عطاءٌ ... والبذلُ بعضُ عَطائي
وأعلمُ البذلَ قِدْماً ... الى أيـادي هبـــاءِ
لن تملئي القلبَ يأساً ... فلستِ كلَّ رَجائي
لولا بقيّةُ عـطفٍ ... طواك حُكم قَضائي
أهواكِ ما شاءَ قلبي ... إن شئتِ أو لم تَشائي

اشتمل النصُّ السابقُ كما هو واضح على صدقِ المشاعر من خلال تجربة شعريّة كلاسيكيّة بامتياز، ومع ذلك، فإنّ طموحَه الشعريَّ قاده الى أن يتعرّف على تجاربَ مغايرةٍ اتّسمت بموسيقى شعريّة صافية، يقول في هذا السياق:

أهواك حتّى استبن النهار ... وبعد أن يضمّ عمري الدثار
أهواك لايحمل لي وجدة ... موج هفا للشاطيء المستجار
لحت فهاج الشوق أضعاف بي ... وازداد شوق مستبد السّعار

يتّضح من ذلك أنّ الشاعرَ يعبّر عن مكنونه بدفقة شعريّة، مستعينا بالموسيقى التي تنساب انسياباً؛ حيث قافية الراء التكراريّة التي حملت صدى المشاعر وعنفوان الشباب.

ومن المناسب القولُ: إنّ الهاشميَّ على الرغم من تمسُّكه من الناحية الشكليّة بالاتّجاه الكلاسيكيّ في الشعر العربيّ، لكنَّ تأثّره بالرومانسيّة واضحٌ في تجربته الشعريّة، ويقول:

يا مَلاكَ الفؤاد حارَ انتظاري
وتناءى على احتمالي اقتداري
إنْ يكُن خافقي الرضي بوجدي
لم تكن حيرة اللقاء اختياري

اتّجاهُه الدينيّ

كما أشرنا في نشأت الشاعر الأولى التي أحاطته بدفء عاطفة الأجداد، فمن الطبيعيّ أن نجد صدى واضحاً في تعبيره عن هذه المشاعر الممزوجة بالفخر والألم، فلا تمرُّ مناسبةٌ إلّا ويترجمُها الى قواف خالة؛ من ذلك قصيدته في ذكرى الرسول الأعظم ﷺ، يقول مخاطبا شخصَ الرسول الكريم:

ملأتَ قلوبَ المؤمنينَ الأماجدِ
ضياء يوافي بالجنان الخوالد
وسطّرتَ بالعزم الدؤوب ملاحِماً
تطلُّ على الأزمان عجب شواهد
تحدّيتَ بالقرآن كلَّ مكابرٍ
أراد ولوجَ الناس سوءَ المقاصد
ووطّدْتَ بالآيِ المنزَّلِ عالماً
تلقّى من البهتان شرَّ المكائد

ويستمرُّ الشاعرُ في ذكر فضائل الرسول الأعظم في نفسٍ كلاسيكيٍّ أتاحَ له البحرُ الطويلُ بتفعيلاته الممتدّة موسيقى هادئةً ورتيبةً حوت مشاعرَ الحبِّ الصادق والهيام في ذات الرسول الكريم.

وبعد تلك الوقفة المحمّديّة، لابدّ أن يستحضرَ الشاعرُ مناقبَ بطل الاسلام وأخي رسول الله، الامام عليٍّ عليه السلام؛ فقد خصّه بجملة قصائدَ، منها قصيدتُه التي تحمل عنوان (منكَ الرّضا)، التي يبدو فيها توّاقاً الى لقائه، فيقول:

منك الرضا يحدو هوى الراغب
في جنَّة الآكلِ والشارِبِ
حبُّ عليٍّ بنِ أبي طالب
فرضُ مليكٍ قادرٍ غالبِ
أفردَه الرحمنُ في بيته
ولادةً بليغةَ الجانب

ويقف الهاشميُّ أمامَ ذكرى عيد الغدير ليعدّه نصراً من الله، مستلهماً الحدثَ التاريخيَّ بكلِّ معطياته العقديّة والعاطفيّة، يقول:

عيد الغدير اعتمدَ المرتضى ولايةً زينت بمستكمل
من كنتُ مولاه فهذا علي مولاه احقاق العظيم العليّ
من فسّر العكسَ افترى ناصباً مكذّبا لذكره المنزَل

ونجده أحياناً متّخذاً من منبر أهل البيت منطلقاً لمخاطبة الأمّة الاسلاميّة، لاسيّما ذكر سيدة نساء العالمين التي اتخذها الشاعر رمزاً للأمّة ومنطلقاً لمناجاتها، يقول في قصيدة بعنوان (الكوثر):

إنا أعطيناك الكوثر جاء بها جبريلُ وبشّر
فلتفخر امتُنا نسباً ذريّة أحمد من حيدر
بشراكَ محمّدُ بالزهراء الفرقدِ والأفقِ الأنور
وبسبطيك الحَسَنين أمداً العصمة بالغرس الأطهر
وأضاء الكونُ بنور نبيٍّ بعد دجىً حلّ وعَسكر
بشراكَ بمجدٍ متّصلٍ وليخْسأ شانئُك الأبتر

ويردفُ تلكَ القصيدةَ بقصيدة أخرى بعنوان (السيّدة الكبرى)، يتابع فيها مآثرَ فاطمةَ الزهراءِ، تتقدّمها كلماتٌ يعبّر من خلالها عن عقيدة الولاء لأهل البيت عليهم السلام: (الى سيّدة الكونين بعد أبيها صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها)، يقول:

غمرتنا بنورها الزهراءُ فاغترفْنا بفيضِها ما نشاءُ
وأرتْنا من خيرها كلَّ مرجوٍّ جزيلٍ يعتزُّ فيه الثناءُ
وتجلّت بأفْقِها ذروةُ المجد شهاباً ترنو له الجوزاءُ
قرّبتنا وذاكَ فضلٌ من الله عميمٌ والقربُ فيه شفاءُ

ونقرأ في هذا السياق قصيدةَ (الى سيّد الشهداء وأبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام بعنوان (المثل)، وهي طافحة بالودّ والفداء، معبّرة عن سموّ التضحية، ولعل ذلك امتدادٌ لذكرى النبيّ وأهل بيته عليهم السلام، يقول:

سبطَ النبيِّ لك امتثالُ تعلُّقي
درج الإباءِ بنهجِك المتألّقِ
إن كان مَن عاداك غيرُ موفَّق
قد كان من والاكَ خيرُ موفَّق
قدَّمتَ للحقِّ الحقيقِ أعزّةً
وأهنتَ أشراراً بأبلغ منطقِ
حادوا عن النهج القويم وبالغوا
بالإثم وانساقوا بنهجٍ أخرقِ

وتستمرُّ القصيدةُ بين مخاطبٍ للإمام الحسين: (يا سيد الشهداء) وبين مبيّنٍ لمكانته السامية: (لولا فداؤك ضاع دين محمّد).

وهكذا، تبدو تجربة السيد عليّ الهاشميّ جديرةً بالتأمل؛ لأنّها تجربةٌ صادقةٌ، عبّر من خلالها عن قضايا الانسان والأمّة.



لا نعلم أبداً

محمّد البَصريّ

أعلمُ بأنّي أنتظر
انتَظرُ شيئاً ما
شيئاً يحدثُ مَعي ..
ولكنَّ الانتظارَ ما أقساه
مَحفوفٌ بالمصاعبِ والتحديات ..
فلاشيءَ دونَ مُقابل
في هذه الحياة ..
إلهي ..
أَنِرْ طريقي وَقَوِّني ..
أعلمُ أنَّ الطريقَ طويل
أحياناً تقسو عليّ الحياة
فأعلمُ بأنّي ضَللتُ الطريقِ
أتوقُ لشيء
شيءٌ لايعلمُه سِواي
ولكنّنا لا نعلم أبدا
لأنَّ الامرَ يسيرُ هكذا



يا بصرةَ الخيرِ ويا ملاذَنا

محمد مصطفى جمال الدين

كتبتُ فوق الأفقِ
يا مدينَتي
يا بصرَتي الحَبيبةْ
حروف اسمٍ طاهرٍ
أيَّتُها البعيدةُ القريبةْ
يا بصرةَ الخيرِ وَيَا ملاذنا
يا أُمَّنا الحلوبةْ
وَيَا حِمانا كُلِّنا
أيَّتُها الواهبةُ الحنونةْ
يا مَن تعيشُ ها هنا
بينَ الضّلوعِ في الحشا
وفي شغافِ القلبِ
في أحداقِنا الحزينةْ
وأينَما ارتحلْنا يا حبيبتي

فأنتِ في غربتنا
الأنيسة المجيبةْ
فلم تغبْ بصرَتُنا
السَّاحِرَةُ العجيبةْ
فهي لنا الهواءُ والغذاءُ
والدواءُ والطبيبةْ
ففي حكايا إبنتي
وفي أماني ولدي
وفي اشتياق زوجتي الحبيبةْ
في قِصصِ الأطفال
في أشعارهم
في أدواتِ الرسمِ
في الحقيبةً
في كلِّ شَيْءٍ عندنا

في بيتنا الصغيرِ
في الجدرانِ
في اشيائنا الأخرى
لنا قريبة
يا بصرةَ
الخليل،
والسيَّاب
والمعالم الكثيرة
يا أختَ بغدادٍ
وأختَ نينوى
يا زينةَ البلدانِ، يا أميرةْ
يا كنزَ كلِّ خيرنا
لكنَّكِ فقيرةْ



بلُطفِهِ اهتَدَيتُ

الجزء الثّاني

بقلم: مريم محمود

وفي ليلةٍ هادئة، كان صوت قَطَرات مطر على النافذة وبجوٍّ شبه بارد، تأمَّلت (هبةُ) كلماتِ (فاطمةَ) آنذاك، دفاعَها عنها، وكلامَها اللطيف الذي لم يخدشْها بشيء، وصفتها (هبةُ) بكلمات قليلةٍ وبمغزى كبير(ما أروعَها من فتاة)، تساؤلات تسيطر على ذهنها، وهل هناك من جواب؟ لماذا (فاطمةُ) لم تقل شيئاً مثل الذي قالوه؟ لماذا عندما طلبتُ منها أن تنصحني أَبَت النصيحةَ؟ هل هي لا تريد منّي أن أكون كذلك؟ لا يُعقل؛ ليس من سماتها ذلك، ولكن، لماذا؟!

- آهٍ يا عقلي، كفاك..لننمْ، يكفي.

صباحاً جوٌّ مشمسٌ غائمٌ، وما أجملَه من جوّ..

- صباح الخير.

- صباح النور، أهلاً (هبة).

- يبدو عليكِ التَّعبُ، هل هنالك من شيء؟!

- لا، أبداً، الحمدُ لله، ولكن، وعكةٌ صحيّةٌ وستمرّ إن شاء الله.

- سلامتكِ.

لماذا كلامها شبه جافٍّ اتجاهي؟ ماذا حلّ بها؟ أيُعقل أنّها لا تريد الاختلاطَ بي بعد الكلام الذي قُلْناه؟ أيُعقل؟!.

(هبة) بهذه الكلمات التي دارت بعقلها شعرت بغُصّة، وبدموعٍ تلألأت وأبَت النزولَ، بتساؤلاتٍ، بتعجّبٍ.

- (هبة) الى أين شرد ذهنكِ؟ المحاضرة ابتدأت!

- آسفة.. حَسَنٌ.

بعد أن أنتهى وقت الدرس، في طريقهما إلى الخروج من الجامعة دار بينهما حديث ابتدأته فاطمة:

- هل هناك مَن ازعج صديقتي؟

- مَن أنا؟ لا، ليس هناك ما يدعو للذكر.

- أحقّاً ذلك؟!

لحظةُ صمتٍ من (هبة) بأعيُن مليئة بكلامٍ لم تستطع البوحَ به، فوجئت (هبةُ) بكلامِ فاطمة آنذاك

- أَلَن تعاتبيني لكلامي الشبه جافٍّ بدون سبب يُذكر أو خطأ أُرتكب من قبلكِ؟ أمِنَ الصواب أن تُكلّمي الله عنّي وتعاتبيني دون علمي؟! أنا أيضاً إنسان، ومعرّضة للخطأ، وأنا آسفة جدّاً لفعلي ذلك، كنت بضائقة، ولكنَّ هذا لا يخصّكِ لتحصلي على جزء من تعكّر مزاجي، سامحيني، فأنا لا أبتعد عنكِ قصداً أبداً، فأنا عندما اقتربتُ منكِ وتكلّمتُ معكِ ووثقتُ بكِ، ما كان ذلك إلّا محبّة واحترام؛ لذلك، عذراً لما بَدَرَ منّي بقصدٍ أو بدونه... من الممكن أنّ لفاطمة

كلاماً كثيراً، ولكن قاطعتها دموع هبة (اللؤلؤ المنثور، الوجه المحمرّ، الأيدي الراجفة)، اعتنقت (هبة) فاطمة بما لديها من قوّة، بما لديها من عتاب، بما لديها من محبّة تجاهها، ونطقت بهذه الكلمات:

- أُحبّكِ (فاطمة)، حقّاً أُحبّكِ، جعلكِ الله لي سنداً، دُمتِ لي.

ربّتَت (فاطمةُ) على كتفها، ومَسَحت دموعَها، ورفعَت وجهَها، وكلَّمَتها بكلماتِ قوّة وتشجيع وشكرٍ ومواساة لكلّ ما حصل.

بمواقفَ كثيرة من شجارٍ وعتاب وحبّ وإخلاص وتفانٍ ونصائح، انتهى تقريباً الفصل الأوّل من السنة، بدا التغيير واضحاً على (هبة)؛ ابتداءً من ارتدائها للملابس التي لا تُظهر مفاتِنها، والحجاب الذي يقبله الشارع المقدّس، وتقليل الزينة أو الانتهاء من وضعها تقريباً، كلمات (فاطمة) (لهبة) تنزل على قلبها كالماء البارد، تتمعّن (هبةُ) بكلّ كلماتها، بدأت تفعل أفعالَها دون أن تنتبه، تطبّعت طباعَها، وما أجملَها من طباع، شاركَت بمهرجانات، وأبرزت نفسَها برَزانة وقوّة، لم تخَف من شيء، أو حتّى من كلامٍ قدْ يؤُذيها.

استطاعت (هبةُ) بصعوبة أن تخرج من بيئة إلى بيئةٍ أُخرى، بتعاليمَ وعاداتٍ أُخرى، بأفعالٍ تختلف كلّياً عمّا كانت عليه؛ فذات يوم كانت (هبةُ) على عُجالة من أمرها؛ خوفاً منها على تأخّرها، وأثناء سيرها المسرع، الفتيات اللواتي تحدّثنَ إليها بخشونة ذلك اليوم قمنَ بالدَّهس على أطراف جلبابها، فتعثّرَت ووقَعت، فتعالَت حينها أصوات الضّحكات، وجاورَتها ضحكاتٌ مكتومةٌ، فاحمرَّ وجهُها، وتلألأت عيناها بالدموع، فما عساها إلّا أنْ تقوم وتضبطَ نفسَها لتلقي عليهم بنظرة أخلَسَتهم، ونطقَت بكلماتٍ جعلت من كان ضميرُه حيّاً حينها يُطأطِئ رأسَه خجلاً، ويُقدِّم اعتذاره لاحقاً، فكانت كلمتها تخرج بصوت مرتجف:

- أليسَ من المَعيب فعلُكم هذا؟ أليس من المعيب الضحكُ في غير محلِّه ممّا يدلّ على قلّة ثقافة صاحبه؟ أليس بينكم مَن ضميرُه على قيد الحياة ليقول: ما هذا الفعل الشنيع؟ أنتم من تسمّون أنفسَكم جيلَ المستقبل، جيلَ البناء، جيلاً لحياةٍ أفضل، أيرضيكم هذا الفعل يا أبناء آدم؟ لو كان بأخواتكم أو بأمّهاتكم أو أنتِ يا حوّاء؟ أيرضيكِ لو فُعل هذا الفعل بصديقتكِ أو بأقربائكِ ؟ عجباً كلّ العجب، ما عساي أقول حتّى؛ أكملَت طريقَها بغُصّة والدموعُ غلبت شجاعتَها، ماذا حلّ بمجتمع يُسمّى بأمّة محمّد؟!

عندما وصلت إلى المكان المرجوّ، ذُهلت (فاطمةُ) من وجه (هبة) التَّعب من الاصفرار، من الحزن المخيّم، فما هي إلا دقائق حتّى قالت (فاطمة):

- ماذا هناك (هبة)؟ ما الذي حصل؟

لم تحتمل (هبة) السؤالَ على الرُّغم من بساطته، فذرفت ما تبقّى من دموعها، ونهنهت عمّا تبقّى من حزنها، فلم يكن بيد (فاطمة) غيرُ العناق المواسي لتهدِّىء من روعها، ولعلّه يكون مفيداً؛ بعد برهة نطقت (هبة) بكلمات تجتمع بها كلّ أنواع المآسي...

- (فاطمةُ)، أمِنَ المنصف حصول هذا؟ لماذا أنا من بين الجميع؟ لماذا عندما أريد أن أحيى بما أُحب يكون هناك الكثير ممّن يعارض، ومَن يسعى لتحطيمي، الموقف الذي حصل بي ما مغزاه؟ ماذا سينتفعون؟ ماذا سيجنون من إحراجي؟ لم أنا مَنْ حصل له ذلك؟ هناك الكثر من أمثالي.

- (هبة) ما هذا الكلام؟ تعرفين ما يحصل في يومنا من خيرٍ أو شرّ هو بتخطيط من الله، إنّه مكتوب ومقدّر..

- أعرف، ولكن، أنا تعبتُ، ليس منصفاً هذا الشيءُ حقّاً، ليس منصفاً، أنا من وقعتُ، أنا مَنْ تمّ الضحك عليه، أنا مَن أُهنتُ أمام الملأ أجمع، أنا مَنْ أُهين حجابي، أنا.... وقبل إتمامها لكلامها، قاطعتها نبرةُ (فاطمة) الحادّة التي جعلت (هبة) مذهولة بها، وتمعّنت بكلّ كلمة قالتها:

- (هبةُ)، أنظري إليّ، إجعلي كلامي هذا نصبَ عينيكِ أين ما ذهبتِ، وأين ما حللتِ، عزيزتي، هناك من يريد الوصول إلى ما وصلتِ إليه ولم يستطع، هناك من تأثّر بكلامكِ، وهناك من لم تعلمي به أنتِ ممّن يعلمهم الله وحده، تعلمين يا (هبة) كلّ ما يحصل لكِ هو لأجلكِ، ومن أجل حصانة نفسكِ، وفي النهاية لا يسلم من كلام الناس وأفعالهم أحد، الذي

تفعلينه لله، والله برحمته لن يتركِكِ، إنَّ ما وصلتِ إليه ما هو إلّا توفيق، فكوني على يقين ممّا حصل وما سيحصل بالمستقبل، هو لكِ، لذاتكِ، إنّ الله لطيف بعباده، كفكفي دموعَكِ، ألم نقل بأنَّ البكاء لغير الله ضعف.

- أنتِ تعلمين بأنّي أحمد الله كثيراً؛ لأنّي تعرّفتُ عليكِ، أليس كذلك؟!

- ضحكت (فاطمة) ولم تقل شيئاً غيرَ بضع كلمات لطيفة مرّت مرور الماء البارد على قلب (هبة):

-الله يُحبّكِ (هبة)، الله يحبّك.

- أنتِ تدعين لي بأن أكون الأفضل، وأن لا أضعف أمام هكذا مواقف، أليس كذلك؟!

- وما الحُبُّ إلّا دعاءٌ عزيزتي.

في حديقة الجامعة، وتحت ظلِّ شجرة، تجلس وردتان ما أبهاهما، تتبادلان أطراف الحديث، بنعومةٍ ابتدأت (هبة) كلامها بسؤال لطيف لمداعبة الجوّ بينهما:

- (فاطمة)، ما رأيكِ بالعلاقات في الجامعة أو في أيِّ مكان ؟ أمِنَ الصوّاب فعل هكذا أشياء ؟ هل راودكِ هكذا استفسار؟

- الجامعة عزيزتي حرم مقدّس، مكانٌ لطلب العلم والثقافة وبناء عقل مفعم بالتفكير وشخصيّة رصينة بالأخلاق، أمّا الآن، فقد أصبحت الجامعةُ مَع كلّ أسفَ للبحث عن الشخص المناسب للزواج، وكأنّها سوقٌ للاختيار، وأصبح البعض يتوقون للوصول إلى الجامعة من أجل هذه المقاصد.. شيء رديء ورخيص جداً.

- حقاً ما تقولين، كلامكِ الصواب؛ ولكن، (فاطمة) دعينا من هذا، راودني سؤال ممزوج بفضول، ممكن؟

ضحكت (فاطمة) وقالت: تفضّلي.

- هل وقعتِ بحبِّ أحدهم؟ أصبحتِ عشيقته أو من هذا القبيل؟

ابتسمت (فاطمة)، وأغمضت عيناها لبرهة، وعادت للكلام...

- لا نقول بأنني دخلتُ بعلاقة، ولا حتّى وقعتُ بحبّه، ولكن، أُعجبتُ بشخصٍ، أُعجبتُ بشخصيّته، بكلامه، بأسلوبه، تبادلتُ معه الحديث كذا مرّة، أُسلوبه في الحوار والنقاش محترم، ويقدِّر المرأة ويحترمها، ويقدّر شخصها، هكذا شخص يا (هبة) نادر في هذا الزمان، مَن يريد بكِ الخير. شخصٌ كهذا أصبح وجودُه شبهَ نادر؛ لذلك (هبة) أنتِ كوني شخصاً يتمنّاه الجميع، شخصاً نادراً متألقاً، (هبة)، كوني مَثَلاً، كأنْ يُقال: كوني مثل فلانة، هذا الشيء أجمل بكثير من أن يكون الفكر هو أن أرتبط بشخص قد لا يحترم فكرَكِ، كوني جوهرةً ثمينةً لدى الجميع، وأثمن ما لديه لا يفرّط



بكِ مهما حصل، حتّى تكوني قوّتَه في أيّام ضعفه، تكونين له بَلَداً بأجمعه، اجتهدي في العمل على نفسكِ لتكوني الأفضل، وبذلك تكونين أمنيةَ مَن يتمنّى.

رُفع صوت الأذان، فانتهى كلّ شيء، وقامتا متّجهتين نحو المصلّى؛ لتؤديا أجمل الأعمال، وبها يكون القرب من الله، وعند الانتهاء، رفعت (هبة) يديها بالدعاء:

- اللّهم لكَ الحمدُ حتّى ترضى، اللّهم يا ربِّ أنت العليم، اللّهم يا ربِّ أنت الرحيم، اللّهم...، فتناثرت دموعُها بكلّ حُب، اللّهم تعلَم كم أحبُّها، إلهي أبعد عنها ما يضرُّها، اللّهمَّ أبعد عنها الحزنَ والأسى، إلهي لك الحمد؛ لأنّه بتوفيقك تقرّبتُ منها، هي من النعم العظيمة، ومن عطاياك الرائعة الصحبةُ الصالحةُ، نعمةٌ تستحقّ الحمد.

فإذا بذراعي (فاطمة) تحتضنها من الخلف بابتسامة رضا بدموع متناثرة وبصوتٍ حنون:

- لك الحمدُ يا ربِّ لهذه الصحبة.

حقّاً: وما الحُبُّ إلّا دعاء.

بعد مرور ما يقارب الشهرين، كانت جامعةُ البصرة تُقيم مهرجاناً ثقافيّاً توعويّاً يشمل الكتب واللوحات والصور الفوتوغرافيّة المتنوّعة، فكان من ضمن النشاطات كلماتٌ توعويّةٌ هادفة محفّزة للطلبة المقبلين على أيّام مليئة بالعمل والتعب والجهد، فكانت صاحبة الكلمة (هبة)، فقالت بعد الحمد والسّلام:

- أنا (هبة)، طالبةٌ في جامعة البصرة، أنا طالبةٌ جامعيّةٌ، تعبتُ لأصل إلى هذه المرحلة، مررتُ بما مررت به من الأيام، وشقيتُ ما شقيت.. لمن هم مقبلون على هذه الأجواء الجامعيّة، ولمن هم في منتصفها، ولمن سينهيها، لعلّ كلماتي تعينكم، ولو بحجم ذرّة.. لنعلم أنّ الله زرعَ فينا القوّةَ لمواجهة أيّ شيء في هذه الحياة، من قسمٍ لم يكن في الحسبان الدراسة فيه، من عَملٍ لم نكن قانعين به، ولكن، لصعوبة الحياة اضطررنا للعمل فيه، من أيّام تمرّ كمرور السّلاحف، وما فيها من دموع وحزن وأسى وصعوبة البوح بما نشعر، ومن بلد لم يفكّر البعض بسكناه، ولكن للظروف التي مرّ بها العراق اضطرّوا للمغادرة، ومنهم مَن فقد أعزّ أهله، ومنهم من هو محتارٌ بين روحه وقلبه، أيّهما يترك؟ هذه هي الحياة ومسيرتها، هذه هي الدنيا، والله الرحيم هو العالم بما في قلوبنا من صبر وقوّة لتحمّل ما يمرّ بنا، مهما كان، هو من يمكن أن نعطيه الثقة العمياء بدون تفكير؛ لأنّه يفعل ما هو خيرٌ لنا لا محاله.

إنّ أول ما قد تفعله لدخولك الجوّ الجامعيَّ أن تختار صحبتَك التي ترافقك لأربعِ سنين أو أكثر، أحسنوا الاختيار، أنا شخصيّاً أحمدُ الله كثيراً على صحبتي واختياري، ومن المواقف ما مررت لأعلم حقاً أنّه الصّواب، ما أجمل أنْ تكون هي سبب في قربك من الله، وسبب في ثقتك بالله، وسبب لأجمل شيء يحبّه الله، ألا وهي العبادة، إعلموا أنّ مَن يحبّكم حقّاً، يدعوكم لما يحبّه هو، وما يحبّ أن يكون عليه، وقالت لي مَنْ هي أقرب من روحي لروحي: وما الحبّ إلّا دعاء يا (هبة).

فإنْ أحببتم شخصاً، أدعو له بالصحّةِ والعافية والتوفيق، والبُعدِ عن الحزن، وأنْ يكونَ نصيبُه من الفرح والسرور موفوراً..لنعلم أنّ ما يحصل لنا من خيرٍ أو شرٍّ هو من لطف الله وتوفيقه لنا، وأنا شخصيّاً بلطفهِ اهتديتُ، فالحمدُ لله حتّى يبلغَ الحمدُ منتهاه.

النهاية.




89
المصور عبد العباس راضي

الصَّبْخَةُ الصغيرةُ ونَظْران

هاتان محلّتانِ تقعانِ على ضفّةِ نهرِ العشّار، وهما من المحلّات القديمة في البصرة، تقع في شماليّ محلّة التحسينيّة والصبخة الصغيرة ونظران على ضفّة نهر الخَنْدَق ونهر العشّار من جنوبها، وقد وحّدَتْها البلديّة في السابق، وعُيّن لهما مختارٌ واحدٌ في عام ١٩٦١م، ونظراً لفتح معظم الشوارعِ وتبليطِها كما ذكرنا في عام ١٩٦٥م على عهد متصرّف البصرة المرحوم المهندس صلاح الدين شوقي، واتّصال هاتين المحلّتين بمحلّة التحسينيّة، ومن جهتها الشرقيّة، وهي الآن من محلّات البصرة القديمة.

مَحلّة الصبخة الكبيرة

تقعُ هذه المحلّة على ذنائبِ نهرِ الرِّباط الكبير في الجهة الغربيّة منه، وكانت تسكنُ فيها ثلاثُ قبائلَ من عَشائر الشَّطرةِ والناصريّةِ، ولسعتِها وكثرةِ التنافسِ فيما بين هذه القبائل، جعلتها البلديّةُ في عام ١٩٦١م ثلاثَ محلّات، لكلّ محلّة مختارٌ، وهي: محلّة العبودة، ومحلّة البو صالح، ومحلة آل خَفاجة.

محلّة كُوت الحِجّاج

من المحلّات القديمة في البصرة، تقع شماليّ محلّة التحسينيّة والصبخة الصغيرة ونظران، على ضفّة نهر الخندق، الذي يحدُّها من الجنوب، وأمّا من جهة الشمال، فيحدُّها نهرُ الرباط , وتعدُّ الآن من محلّات البصرة الكبيرة؛ وذلك بعد استملاك بساتينها من قبل بلديّة البصرة في زمن النظام السابق، وبعد التوسيع العمرانيّ الذي طرأ عليها بعد عام ٢٠٠٣م وإلى الآن.

سمّيت هذه المحلةُ بكوت الحجاج لأنَّ سكنتَها عوائلُ من قبيلة بني أسد، وبنَتها وسيجَتها ووضعَت لها عدّةَ أبوابٍ خارجيّةٍ تُغلق عند الغروب، وقد كانت المنطقةُ السكنيّةُ المسيَّجة تسمّى ب(الكوت)، ثمّ بنت هذه العائلةُ سفينةً كبيرةً (إمْهيلة)، وذهب أفرادُها لحجِّ بيت الله الحرام، فسُميت بعائلة الحِجّاج، ويعدّون من وجهاء وأعيان ومُلّاك البصرة، ومن الشخصيّات المعروفة من أسرة آل الحِجّاج المرحومُ صالح الحجاج عضوُ المجلس البلديّ في البصرة، وأوّلُ قائم مقام في سوق الشيوخ في أوّل حكومة عراقيّة، والنائبُ في مجلس النوّاب في العهد الملكيّ، وكذلك عضوُ المجلس البلديّ، المرحوم الحاج أمان الحجّاج، وكذلك الوجيهُ التاجرُ المرحومُ مكّي الحجّاج، والوجيه المرحوم التاجر حامد الحجّاج، ومديرُ الجنسيّة السابق، المرحوم فاخر الحجّاج، ومدير واردات البصرة في زمن حكم عبد الكريم قاسم، المرحوم يوسف الحجّاج، والمرحوم حمزة جواد الحجّاج، مديرُ مدرسة كوت الحجّاج الابتدائيّة، والمرحوم القاضي رئيس محاكم استئناف البصرة حاتم الحجّاج، ومن أبناء هذه الأسرة الكريمة بالوقت الحاضر الأستاذ المتقاعد مديرُ دائرة سياحة البصرة ناظم الحجّاج، والأستاذ رائد يوسف الحجّاج، صاحبُ مكتب الرائد لطباعة رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه، والأستاذ ضياء الحجّاج، المدرّس المتقاعدُ الكاتبُ في التراث، والوجيه الشيخ عاصف الحجّاج، رئيس حمولة آل الحجّاج قبيلة بني أسد.



نهر السراجي الجنوبي

نهرُ السّراجي بين الماضي والحاضر

السيّد هاشم محمد علي العزّام

كانت منطقةُ البَصرة ميناءً بحريّاً من قديم الزمان ؛ إذ استخدمه السومريّون المشهورون برحلاتهم البحريّة وبعدهم الأكاديّون والبابليّون، ثمّ الفرس؛ لرحلاتهم البحريّة باتّجاه الخليج؛ الذي سمّي فيما بعدُ خليج البصرة، وكانت هناك مجمّعات سكنيّة في تلك المنطقة، وعند احتلال العرب المسلمين المنطقةَ، اتّخذوها مقرّاً لهم لشنّ الفتوحات، وسكناً لعوائلهم؛ إذ اتّخذوا الجانبَ الغربيَّ من شطّ العرب، بعيداً عن النهر، وفي منطقة مدينة الزبير الحاليّة سكناً لهم ولعوائلهم؛ لأكثر من سبب:

الأول: كي لا يكون بينهم وبين جزيرة العرب حاجزٌ مائيٌّ ؛ ليسهُل عليهم الانسحابُ إلى الصحراء إذا داهمهم العدوّ.

الثاني: الابتعاد عن شطّ العرب؛ تجنُّباً لرطوبة الجوّ على شواطئه.

وبمرور الزمن، أخذوا بحفر الأنهار وإنشاء البساتين على ضفافها؛ حتى بلغت آلافَ الأنهر، ومن المؤسف أن الكثير من تلك الأنهار الجميلة تمّ ردمُها؛ بسبب التوسّع العمرانيّ وإهمال الزراعة، ولو قارنا بين أنهار البصرة وبين أنهار أمستردام الهولنديّة، التي يقصدها ملايينُ السوّاح من أرجاء العالم للتمتّع بمناظرها راجعين في ذلك أربعين عاماً فقط، لوجدنا أنَّ أنهارَ البصرة أكثرَ نظافةً، وأجملَ منظراً، وأكثر عدداً، وأمّا في الوقت الراهن، فقد تحوّل المتبقّي من تلك الأنهار الجميلة إلى مصبٍّ للمياه الثقيلة والآسنة، ومكبّاً للنفايات.

كانت مدينةُ البصرة وملحقاتُها تزخرُ بعدد كبير من الأنهر كما نوّهنا، بلغت عدّة آلاف في العصور العباسيّة، ومنها الأنهر الكبيرة والصغيرة، بالإضافة الى الجداول والسواقي المملوءة بالمياه العذبة، تتغذّى جميعُها من شطّ العرب،

الذي كان يبلغُ عرضُه حوالَي الكيلومترين، الذي كان يُدعى بعض الأحيان بدجلة العوراء.

وبالرُّغم من اندثار معظم تلك الأنهار في زمن الدولة العثمانيّة وما بعدها حتّى يومنا هذا، إلّا أنَّ الكثير منها ما زال مقاوما في الوقت الراهن، وهي تتفرّع من شطّ العرب، الذي يولد في القُرنة شمالاً من التقاء نهرَي دجلة والفرات، ويمتدّ جنوباً الى خليج البصرة (الخليج العربيّ)، وبطول يزيد على مائة وثمانين كيلو مترا، وهو يتأثر بعمليّة المدّ والجزر التي تحصل في البحار، التي تمتد إلى الخليج، ثمّ إلى شطّ العرب، علماً بأنّ عمليّةَ المدّ والجزر تحصل مرّتين كلّ خمسةٍ وعشرين ساعة.

وهناك بعض الأنهار الرئيسة التي تتفرّع من شطّ العرب، ويعدّ نهرُ السرّاجي أحدَ تلك الأنهار الرئيسة التي تتفرع من الجهة الغربية منه، وكذا تتفرّع من هذا النهر المهمّ الكثيرُ من الفروع والتّرع التي تسقي البساتينَ في مناطق جنوب البصرة وشمالَ أبي الخصيب، حيث كانت تكثر على جانبيه أشجار النخيل والكثيرُ من أنواع الفواكه التي تنمو عادة تحت ظلال النخيل، الى جانب الحبوب المختلفة التي كانت تزرع في هذه المناطق، وعلى الأخصّ المنطقة المحصورة بين شطَ العرب وطريق بصرة فاو الرئيس، أضف الى ذلك زراعة الخضر، التي تعدّ من أجود أنواع الخضار في العالم.

ومن الطريف أن تسمية نهر السرّاجي بهذا الاسم جاءت كما نُقل نسبةً الى شخص كان يعمل سروج الخيل لآل راشد في المنطقة، وهم الذين حكموا البصرة في بعض الفترات من الزمن، علماً بأنّ نهر السرّاجي كان وما زال يُستخدم واسطةَ نقلٍ مهمّةً لنقل الاشخاص والمحاصيل الزراعيّة الى مدينة البصرة، التي كانت تنقل بواسطة الأبلام والمهيلات، وبواسطة الزوارق التي تحرّكها المحرّكاتُ التي تعمل بمكائن الوقود النفطيّة حديثاً.

لقد نشأت على ضفاف هذا النهر مدينةُ السرّاجي، التي أُلحقت إداريّاً في الوقت الراهن بقضاء أبي الخصيب.


مدخل نهر السراجي



(مَبخَرَة الصَّنْكر):
إحدى المَحطّاتِ المنسيّةِ في البصرة

الأستاذ: حسين العطيّة

كانت تشكّلُ مِفصلاً مهمّاً في حركة تجارة التمور، تقعُ عند بداية شارع الكورنيش (مقابل مدينة ألعاب العشّار حاليّاً)، وهي البناية التي تميّزت بلونها الأحمر.

كان مديرُها المفوّضَ المرحومَ الأستاذَ محمّد أمين الرحمانيّ أثناء الموسم ١٩٦٩، ترتبط بلجنة التمور عدّةُ مباخرَ، منها: الخندق والحمزة والصنكر، وكان مدير المباخر والشحن المرحوم الأستاذ فريد جويده يكرّسُ جهدَه ووقتَه لتفقّد العمل في هذه المباخر ليلاً ونهاراً، وخاصّة أثناء فترة الموسم.

ومن الخواطر العالقة في الذهن أنّه كتب ذات مرّة عبارةَ عتابٍ على قصاصة من الورق وعلّقها في لوحة إعلانات المبخَرة، وبقيَت عالقة طويلاً في أذهان الذين قرأوها من الأحياء الباقين إلى يومنا هذا؛ وذلك عندما تفقَّد المبخرةَ ليلاً ولم يجد الموظّفَ الإداريَّ الخفرَ، وهذا نصها:

(حضرتُ، فلم أجد أحداً، أهكذا تطبَّقُ التعليمات !؟)

وكانت هذه العبارةُ كافيةً لأن يشعر الجميع بأنَّ كلَّ واحد منهم هو المقصّرُ والمقصودُ، وكانت بمثابة التنبيه والإنذار، وبالتالي الالتزام بالضوابط التي تحكم العمل، والاحترام المتبادل بين المسؤول ومرؤوسيه.

أمّا بالنسبة إلى آليّة العمل في مبخرة الصنكر، الواقعة في قرية الصنكر على طريق أبي الخصيب، فكانت تعتمد على منفذَين يقعان فيها على ضفّة شطّ العرب، يدير كلّاً منهما موظّفٌ مهمّته ضبطُ أعداد صناديق التمور أثناء (النِّفاض) والتحميل، وتأشيرُ ذلك في دفتر يحتوي قسائمَ بنسختين تسمى Bat Not، يلفظها منتسبو المبخرة (باط نوط)، ويكون أحدُ هذين المنفذَين لاستلامِ التمور المحمَّلة بالأبلام الكبيرة و(المُهَيْلات) من المَكابس، والاخر لتحميل وشحن التمور المعبّأة في الصناديق الخشبيّة والحِلّان على الجنائب؛ تمهيدا لنقله إلى البواخر الراسية في شطّ العرب بعد تبخيره وتعقيمه.

مبخرةُ الصّنكر ذاتُ مساحة واسعة، مبنيّة من الطابوق، مرّبعةُ الشكل، ذاتُ بوّابة كبيرة تفضي إلى طريق أبي الخصيب-عشّار، تقع إلى جهة اليمين منها غرفةُ المدير على الشطّ، تليها مباشرةً غرفةُ الذاتيّة، ثمّ غرفةُ المُحاسب المسؤولِ عن

قطوعات تجّار التمور، وجميعُ المباخر متشابهةٌ تقريباً في هذا التصميم، وفي الجهة اليسرى توجد ثلاثُ سقائفَ شبهَ متّصلة مع بعضها، وفي وسط المبخرة توجد مبخرةٌ كبيرةٌ لتبخير التمر (الچمبر).. وكذا يوجد قَبّانٌ كبيرٌ لوزن التمور.

يأتي العمّالُ والعاملات المؤقَّتين إلى عملهم لهذه المكابس عن طريق شخص يطلق عليه (التنديل)، وذلك أثناء المواسم، وأغلبُهم من العوائل الفقيرة التي تسكن في بيوت مشيَّدة من القصب والبَواري وجذوع النخيل (كبيوت مؤقّتة)..تقع خلفَ مبنى المَبخَرة..

السقيفةُ الأولى: تكون للعمال والعاملات من الذين يكون عملُهم تفشيقُ التمر وإخراج النوى منه.

السقيفة الثانية: النساء اللواتي يقمنَ بعمل تصفيف التمر بصفوفٍ متساوية بعد أن يضعنَ ورقاً دهنيّاً (مشمّعا) في أسفل وجوانب الصندوق من الداخل؛ كي يمنعَ تسرّبَ الدبس منه، ويكون العمل معرَّضاً للتفتيش من قبل (الوكّاف)، وعند الانتهاء يُرسل الصندوقُ إلى النجّارِ ليضعَ على فتحتهِ العُليا غطاءً من نفس الخَشب، ويَرْقُمَهُ بواسطة تيل عريض عند جانبيه..

أمّا في السقيفة الثالثة، فيوجد عددٌ من النسوة العاملات يتوقّفُ عملهنَّ فقط على تصفيف التمر بقوالب حديديّة باستخدام ورق السيلفون، ويضغط على كلّ قالب بـ (ماكنة ضغط خاصّة)، ثمَّ يتمّ تجميع قوالب التمر في صندوق خشبيٍّ يُعدُّ للتصدير، ويتمّ جمعُ الصناديق الكاملة في سقيفة خاصّة.

وبين فترة وأخرى يزورُ هذه المكابسَ مفتّشونَ لغرض تفتيش التمر في الصناديق، كأن يأخذ المفتّش نموذجاً واحداً من كلّ عدد.. المفتّشون يُرسلون من قبل الشّركات (بيت چوك) أو (أندرويت).

كانت عمليّة التبخير في مبخرة الصنگر تجري بإدخال صناديق التمور في جهاز اسطوانيٍّ كبير يسمّى (الچمبر) بواسطة العربات، ثمّ تغلق الأبوابُ بإحكامٍ، ويسحب الهواء من (الچمبر)، بعد ذلك يضخ غازُ (مثيل بروميد) إلى داخله، وتبقى التمور فيه لأكثر من ٤ ساعات، بعدها تفتح الأبوابُ وتؤخذُ



عيّنةٌ منه للفحص، وفي حالة عدم اكتمال التبخير في العمليّة الأولى، تعاد مرّةً ثانية في عمليّة أخرى تسمّى (إعادة تبخير).

بعدها يتمّ ختمُ العلامة التجاريّة (الماركة)للشركة أو المكبس على الصناديق أثناء مرورها على (قايش) منصّة النّفاض أو التحميل المؤدّي إلى الجنيبة أو البلم؛ تمهيدا لنقلها إلى الباخرة، وكان هؤلاء الكَتَبَةُ ينادون على سفّان البَلَم أو الجنيبة لتبريد (القايش) عند ارتفاع حرارته جرّاءَ استمراريّة التشغيل؛ وذلك بواسطة سطلٍ يلقيه من ماء الشطّ.

يُذكر أنّ في البصرة في الستّينات والسبعينات حوالي ١٣ مليون نخلة، ومئات الأنواع من التمور، منها: الحلاويّ والخضراويّ والبرحيّ والساير والبريم والزهدي... الخ.

وكان أوّل أنواع التمور التي صُدّرت من البصرة قد صُدّر إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة سنة ١٩١٤، وكان من نوع الحلّاوي.

وكان تجارةُ التمور تشكّل موردا مهمّا للاقتصاد العراقيّ بعد النفط، إضافة إلى تشغيل الأيدي العاملة، من كتَبة وعاملين وفنيّين ونساء يقمنَ بعملية (التفشيگ) في المواسم، ممّا كان يسهم في التخفيف من البطالة وإعالة الكثير من العوائل.

و من أصحاب المكابس وتجار التمور الذين كانت تستلم كمياتهم في المبخرة، بيت أصفر وشركاؤه، ودلكس رزوق صائغ، وكاظم مهدي بريج، وشركة سورين، شركة اندروايز المحدودة وبيت مارين، و الشركة الإفريقية الشرقية، وشركة جيتا باي كوكل.

من عاقلات المجانين بالبصرة
الجارية البصرية

ياسين يوسف اليوسف

ذكر ابنُ الجوزيِّ في كتابه (صِفةُ الصَّفوَة) مجموعةً من النّساء اللاتي تركنَ بصماتِهِنَّ على التّاريخ البصريّ، ومنهنّ: الجاريةُ البصريّةُ، ولم يذكر ابنُ الجوزيّ ولا غيرُه – على حدِّ تتبّعنا- تفاصيلَ عن هذه الجارية بقدر ما ذكر قصَّتَها والعبرةَ من هذه القصّة؛ فعن عبد الواحد قال: قال عتبةُ الغم: خرجتُ من البصرة فإذا أنا بِخِباءِ أعرابٍ قد زرعوا، وإذا أنا بخَيمة، وفي الخيمة جاريةٌ مجنونةٌ عليها جُبّةُ صوف عليها مكتوب: لا تُباع ولا تُشترى. فدنوتُ فسلّمتُ عليها فلم تردَّ عليَّ السلام، ثمَّ ولّيتُ، فسمعتُها تقول:

زَهدَ الزاهدون والعابدونا
إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعينَ القريحةَ فيه
فمضى ليلُهم وهم ساهرونا
حيّرتهم محبّةُ الله حتّى
علمَ الناسُ أنَّ فيهم جُنونا
هـــم ألِبّا عـقـولٍ ولـكـنْ
قدشجاهم جميعُ مايعرفونا

قال: فدنوت إليها، فقلت: لمَن الزرعُ؟ فقالت: لنا إن سَلِم، فتركتُها وأتيت بعضَ الأخبيةِ فأرخَت السماءُ كأفواه القِرَب، فقلتُ: واللهِ، لآتينَّها فأنظر قصَّتَها في هذا المَطَر، فإذا أنا بالزَّرع قد غرقَ، وإذا هي قائمة وهي تقول: والذي أسكنَ قلبي من طرف صفاء مودّة محبّته، إنّ قلبي ليوقنُ منك بالرضا. ثمّ التفتَت إلي فقالَت: يا هذا، إنّه زرعُه، فأنبتَه وأقامَه فَسَنبَلَه وركَّبَه فشقَّقَه وأرسلَ عليه غَيثاً مُتغطْمِطاً فسقاه، واطلع عليه فحفظَه، فلمّا دنا حصادُه، أهلكَه. ثمَّ رفَعَت رأسَها نحو السماء فقالَت: العبادُ عبادُك، وأرزاقُهم عليك، فاصنع ما شئتَ، فقلتُ لها: كيفَ صبركِ؟ فقالت: أسكت يا عتبةُ:

إنَّ إلهي لغنيٌّ حميد ... وفي كلّ يومٍ منه رزقٌ جَديد
الحمدُ لله الذي لم يَزَلْ ... يفعل بي أكثرَ ممّا أريد

قال عتبةُ: فو الله، ما ذكرت كلامَها إلاّ هيَّجَتني[1].

١- صفة الصفوة:٢/٢٦١.



(العفوُ والاعتذار) لابن الرّقّام البصريّ

ياسين يوسف اليوسف

مؤلِّفُ الكتاب هو (أبو الحَسَن، محمّدُ بنُ محمد بن عمران البصريّ، الرّقام)، صاحبُ ابنِ دريدٍ، بهذا الاختصار ترجم له الزبيدي في كتاب طبقات النحويّين واللغويّين، وعدَّه من الطبقة السابعةِ من اللغويّين البصريّين[1]، وأضافَ القفطيُّ على ما ذكره الزبيدي عبارةَ (اللغويُّ الراويةُ)[2]، وأفاد السيوطيُّ في بغية الوُعاة نقلاً عن ياقوت أنّه: «أحدُ أصحاب ابن دريدٍ القيّمين بالعلم والفهم»[3].

وقد حاولنا كثيراً للحصول على ترجمة أوسع للمؤلّف، وتتبعّنا الكثير من المصادر اللغويّة والنحويّة، وكذا حاول من قبلنا، محقّقُ الكتاب، الذي كان مخطوطةً في الأصل، ولكنّنا للأسف لم نوفَّق للحصول على أكثر ممّا تقدّم، وبما أنّه من أصحاب ابن دريدٍ، فترجّح وفاتُه في أواسط القرن الرابع الهجريّ.

لم يذكر ابنُ الرقّام البصريّ في تأليفه لكتاب (العفو والاعتذار) المصادرَ المعتمدةَ في التأليف، مع أنّه عاش في زمنٍ كثُرت فيه المؤلَّفاتُ والمصنّفات، وعاصرَ فطاحلَ النحويّين واللغويّين ومشاهيرَ الأدباء والعلماء والرواة، كالسّيرافيّ، وأبي حاتم السَّجِستانيّ، والريّاشيِّ، وغيرِهم من الأعلام.

الكتابُ في الأصلِ مخطوطة

كتابُ (العفو والاعتذار) لابن الرَّقام عبارةٌ عن مخطوطة لم تُبق الأيّامُ منها إلّا نسخةً فريدةً موجودة في مكتبة (برلين) برقم (٥٤١٦)، حسب ما ذكر محقّقُها الدكتورُ (عبد القدّوس أبو صالح)، ويعودُ تأريخها إلى القرن الخامس الهجريّ، ويُستظهر ذلك من دراسة الخطّ الذي كُتبت به، ونوعِهِ ونوعِ الورق، ثمّ إنَّ هناك بعضَ التملّكات مثبتة على النسخة وعلى صفحة العنوان، وهي تتردد بين سنة (٤٣٠ـ ٤٧٠ـ٤٩٢) هـ.

وقد جاءت المخطوطةُ في جزأين كاملين يضمّهما مجلّدٌ واحدٌ، بلغَ عددُ أوراقها (٢٨٦) ورقةً، في كلّ ورقة عشرةُ أسطر، وقد أشار محقّقُ المخطوطة في مقدّمته إلى تفاصيلَ أخرى، وذكرَ منهجَه التحقيقيَّ مفصّلاً[4].

وعند مطالعة الكتاب، لا نملك إلّا أن نعجب كثيراً بالذهنيّة الأدبيّة لابن الرَّقام البصريّ، وكيف خصّص الكتابَ المطوَّل بموضوع محدّد، وكذا تتّضحُ ذهنيّتُه من خلال دقّة التسمية التي اختارها لكتابه: (العفو والاعتذار)، وقد قُسّم الكتاب ذو الموضوع الواحد إلى عشرة أبوابٍ يصعبُ على من لا يمتلك تلكَ الذهنيّةَ التنظيميةَ التحليليّةَ أن يأتي بمثل هذه الأبواب العشرة التي لا تخرج عن موضوع واحد هو (العفو والاعتذار).

وقد خالف ابنُ الرَّقام في كتابه النمطَ السائدَ آنذاك، وهو الاستطرادُ؛ فقد كان أسلوبُه في الكتابة الابتعادَ عن الوقوع بالاستطراد أو الخروجِ عن الموضوع.

الكتابُ من الكنوز الأدبيّة

لكتاب ابن الرَّقام قيمةٌ أدبيّةٌ عاليةٌ، ولا نكونُ مبالغين إذا قلنا: إنَّ الكتابَ يعدُّ من كنوز البصرة الأدبيّة التراثيّة الثمينة؛ باعتبار أنَّ تراثَ المدينة ما يزال مغيّباً مهملاً في زوايا المكتبات الحافلة بالمخطوطات وخباياها، فالكتاب يُعدُّ ذا قيمة أدبيّة ولغويّة واجتماعيّة مهمّة.

أبوابُ الكتاب

قسّمَ المؤلّفُ أبوابَ كتابه إلى عشرةِ عناوينَ، وطُبع بجزأين، ابتدأ الجزءُ الاوّلُ بباب (العفو والاعتذار)، تكلّم فيه عن حدِّ العفو، وأقسامِه، وأصلِه اللغويِّ، وكذا الأمر بالنسبة للاعتذار، وعَضَدَ أقوالَه بنصوصٍ لغويّةٍ، واستشهد بأبيات شعريّة في المقام، ولم يغفلْ في حديثِه الحِكَمَ والأمثالَ العربيّةَ، وقد أسهبَ كثيراً في عَرض المادّة اللغويّة لمفردتَي العفو والاعتذار، ممّا يدلُّ على ثقافةٍ لغويّةٍ واسعةٍ لصاحب الكتاب؛ فقد ألمّ بالشّواهد اللغويّةِ بطريقة جميلةٍ بما تضمَّنتهُ من آياتٍ وأحاديثَ شريفةٍ وحكمٍ وأمثالٍ وطرائفَ شعريّةٍ كما ذكرنا.

وأمّا البابُ الثاني من الكتاب، فقد أفردَه تحتَ عنوان: (توريةُ الملوك عن ذنوب ذوي الجنايات محبّةً للعفو لهم عنها).

والتورية هي الإخفاءُ، والمعنى: سترُ الذنوب لدفع العقوبة عن المذنب، ويسوقُ في هذا الباب مجموعةً من الأخبار التي تعضدُ عنوانَ الباب، وقد توسَّع في طرق الحديثِ ليثبتَ الرواياتِ، وحدَّث كثيراً عن أحمد بن عبد العزيز الجواهريّ، وعمر بن شبّه، والسجستانيّ، وأورد قصصاً كثيرةً بصياغة أدبيّة قلَّ نظيرُها، ولا نستغربُ مقدرَتَه على فنونِ اللغة والأدب، وإلمامَه بها؛ كونَه صاحبَ ابن دريدٍ اللغويّ البصريّ الكبير؛ فقد أخذَ منه الكثير.

وأمّا البابُ الثالثُ، فقد جاء تحت عنوان: (العفوُ عن ذوي الجنايات استصلاحاً لهم ومداراةً لعشائرهم)، وهنا ساقَ الكثيرَ من الرّوايات والأخبار التي تعضد هذا البابَ، وكعادته، استشهدَ بالكثير من أشعارِ العرب وقصصِهم.

وجاء البابُ الرابعُ من كتابه بعنوان: (تلطّفُ الجُناة في الحيلةِ لطلب العفو)، وفي هذا الباب ينقلُ مجموعةً من القصص، نذكر منها: قصّةَ المختار الثقفيّ مع سُراقةَ البارقيِّ، وكان سُراقةُ ممّن قاتلَ المختارَ، فاحتالَ لنفسه طلباً للعفو، فاطلقه المختارُ، وعفا عنه.

ويأتي الباب الخامس من الكتاب بعنوان: (خطأُ المنطِق بحضرةِ الملوكِ ومن عفى عنه)، ونقل في هذا الباب كثيراً عن أبي حاتم السجستانيِّ، والغَلّابيِّ، والجوهريِّ، وابنِ شبه، وأوردَ الكثيرَ من القصص بطريقته الادبيّة الشيِّقة.

وعنون البابَ السادسَ بعنوان: (العفوُ عن الهُرّاب والمنفيّين، وردُّهم الى أوطانهم بالشفاعة لهم وبالاعتذار منهم)، وأورد فيه بعضَ الروايات التي تناسب موضوعَ هذا الباب، ويذكر في هذا الباب في بداية الجزء الثاني من الكتاب قصّةَ الفرزدق مع بني فُقيم، نقلاً عن ابنِ دريدٍ، عن أبي حاتم، عن أبي عُبيدةَ، والخبر بأسناده في نقائض جرير والفرزدق.

وأمّا البابُ السابعُ الذي جاء تحت عنوان (العفو عن ذوي الجرائم بالشفاعات)، فقد أورد فيه المؤلفُ الكثيرَ من

القصص التي يتدخّل فيها من ذوي الشفاعة في من يَستجير فيُجارُ ويَستأمِن فيؤمَّن، لكنَّ الكثيرَ من الروايات في هذا الباب وفي غيره من أبواب الكتاب بحاجة لمراجعة وتأمّل، ومن القصص الجميلة التي أوردها بطريقة أدبيّة رائعةٍ عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعيّ عن عمرو بن العلاء ما نذكره هنا باختصار: قال: بعث الحارثُ بن أبي شُمرٍ الغسّانيّ ملكُ الشّام خَيلاً، فأغارت على مُضَرَ وربيعةَ، فغنِموا وسبَوا وأَسَروا وانصرَفوا، وممّن أُسر شخصٌ يقالُ له (شَأْس)، وهو أخٌ للشاعر الجاهليِّ علقمةَ بنِ عبدةَ، المعروف بعلقمة الفحل، المعاصر لأمرئ القيس، فقدم مع أصحابه، وامتدَحَ الحارثَ بنَ أبي شمر الغسانيِّ، ومن جملة ما قال:

وفي كلِّ حيٍّ قد خبطت بنعمةٍ
فحقق لشأسٍ من نداك ذَنوبِ

قال الحارث: إي والله وأذنبةٌ، فأطلقَ أخاه، وأجارَه، وكساه.

وجاء الباب الثامن بعنوان: (مَن هرَبَ من مَلكٍ مخافةَ أن يقتلَه، ثمَّ أتاه مقرّاً بذنبه فعفا عنه)، وهنا يتحدّث ابنُ الرَّقام عن بعضِ من هرب من جرائمه وضاقت عليه الارضُ بما رحُبت؛ فاقروا بذنوبهم، فنجو من القتل، ونالوا العفوَ، ومن جملة مَن ذكرَ كعبُ بنُ زهير مع الرسول محمّد ﷺ.

وأمّا البابُ التاسعُ من كتابه، فقد كان بعنوان (تكرُّم الأشراف في العفو عن الأسرى وغيرهم من ذوي الجنايات)، وهنا ينقل ابنُ الرّقام عدَّةَ أحاديثَ، منها: عن الجوهريّ عن عمر بن شبه بسندهِ عن مروان بن الحكم يقول: «ما رأيتُ رجلاً أكرمَ من عليِّ بنِ أبي طالب (صلوات الله عليه)؛ التقينا يومَ الجمل، فتناوشنا مليّاً من النهار، ثمَّ حَمَلَ بعضُنا على بعض، فلمّا انهزم الناسُ، نادى منادي عليٍّ عليه السلام: لا تُجهزوا على جريحٍ، ولا تتبَعوا موليّاً، ومَن ألقى سِلاحَه، فهو آمِنٌ، ومن أغلق عليه بابَه، فهو آمن، فدخلتُ داراً، فكنتُ فيها، فلمّا قدمت عائشةُ، تحوّلتُ إليها، ثم أرسلتُ إلى الحسن بن عليٍّ وابنِ جعفرٍ فأخذا لي أماناً».

وخُتم الكتابُ بالباب العاشر الاخير بعنوان (العفو عمَّن نوى قتله اضطراراً)، وقد ملأ ابنُ الرّقام البصريّ كتابَه بجملة من الأخبار والروايات التي يدعم بها موضوعَ كتابِه.

وممّا يجدر ذكرُه في المقام، هو أنَّ في الكتاب الكثيرَ من المواقف التاريخيّة والأخبارِ والرواياتِ التي يجب أن تخضع إلى التدقيقِ والتمحيصِ والمراجعةِ، ولا بدّ من أن يخضع رواتُها إلى الجرح والتعديل في علم الرجال؛ ليُعرف الغثُّ والسمينُ من تلك الروايات، لكنَّ الكتاب كما ذكرنا غايةٌ في الروعة من الجانب الأدبيّ، ما يعكس المستوى الرفيعَ الذي بلغته مدينةُ البصرة وعلماؤها في هذه الحقبة من الزمن.

الهوامش

١- طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي: ص١٨٥.
٢- انباه الرواة: ٢١٣/٢.
٣- بغية الوعاة:٩٩.
٤- مراجعة مقدمة كتاب العفو والاعتذار لابن الرقام: ص٢٢/١.

الشّهيدُ السّعيدُ

السَّيِّد علي مصطفى الخرسانيّ البصريّ

زهرة عبد الباري

كربلاء، تلك الواقِعةُ العَظيمَةُ التي شارَكَ فيها الكِبارُ، والصِّغارُ، النِّساءُ، والرِّجالُ كلٌّ مِنهُم عَلَّمَنا دَرساً وعِبرَةً، ما أجملَ الموتَ إنْ كانَ على طَريقِ الحَقِّ بِعِزٍّ وفَخرٍ، ومِن تِلكَ العِبَر والدُّروسِ التي تعلَّمناها، الحادِثة التي دارَت بين الإمامِ الحُسين وعليٍّ الأكبر عليهما السلام، يَسألُ عليٌّ الأكبر أباهُ الإمامِ الحُسين عليه السلام: «يا أبتِ لا أراكَ اللهُ سوءاً ألَسنا على الحقِّ؟، قال: بلى، واللهِ الذي مرجِعُ العِبادِ إليهِ، فقالَ: فإنَّنا إذاً لا نُبالي أن نَموتَ مُحقِّينَ، فقالَ لَهُ الحُسين عليه السلام: جَزاكَ اللهُ مِن وَلَدٍ خيرَ ما جَزى وَلَداً عَن والدِهِ»[1].

ها هُم شُهداؤنا الأبطالُ المقتَدونَ بسَيِّدِ الشُّهداءِ وأنصارِهِ، يَبذُلُونَ مهَجَهُم مِن أجلِ الدِّينِ والوَطَنِ، ومن هؤلاءِ الأبطالِ: الشَّهيدِ السَّيِّدِ(علي مصطفى الخرسانيّ)، الَّذي وُلِدَ لَيلة الجُمعَة، الموافِق (٢٠٠٠/٥/٣٠)، في محافظةِ البصرةِ، منطقةِ الهارثةِ، كان مولوداً مباركاً مِنذُ ولادَتِهِ؛ إذ تنقُل لنا عائِلتُهُ إنَّهُ حينَ بلوغِهِ الشَّهرِ السَّادِس مِن عُمُرِهِ، نَطَقَ (اسم الله)، دونَ أن يُلقِّنَهُ أحدٌ، وأخَذَ يُردّدُ هذا الاسم المبارَك مُدَّة أسبوعٍ تقريباً.

وحينَما كانَ والدُهُ السَّيِّد (مُصطَفى) يَدرُسُ العُلومَ الدِّينيَّةَ، ذَهَبَ – يوماً- إلى بيتِ المرجِعِ الأعلى السَّيِّد علي السِّيستاني دامَ ظِلُّهُ للتَّشرُّفِ بلقائِهِ، وأخبرهُ عن طفلِهِ(علي)، فرفَعَ السَّيِّدُ يَديهُ الكريمتين داعياً له بالتوفيقِ، وقال: «إنّهُ طِفلٌ مبارَكٌ»[2].

ترعرَعَ (عَليٌّ) في ظِلِّ عائِلَةٍ تُعرَفُ بالإيمانِ والتَّقوى والحُبِّ الشَّديدِ لآلِ البَيتِ عليهم السلام، وكان بارّاً بوالديهِ، محِبّاً لإخوتِهِ، عَطوفاً عليهِم، تذكُرُ والدَتُهُ: أنَّهُ بدأ بالأمورِ العِبادِيَّةِ في السَّنةِ السَّابِعَةِ مِن عُمُرِهِ، أي: قبلَ سِنِّ التَّكليفِ، وكانَ شَديدَ التَّعلُّقِ بأهلِ البيتِ عليهم السلام، وكذا كان مِن المتفوِّقينَ دِراسِيّاً؛ فقد كان في مرحلةِ المتوسِّطةِ، وعندما سَمِعَ إعلان فتوى الدِّفاعِ الكفائيِّ، قَرَّرَ الالتحاقَ، وكان أحدَ المتحمِّسين لنيلِ شَرَفِ الشَّهادَةِ في سبيلِ اللهِ.

لم يتمَّ قبولُه في بادئ الأمرِ؛ لعَدَمِ بُلُوغِهِ السِّنَّ القانونيَّةَ، فكان يطلبُ مِن أمِّهِ أن تتوسَّطَ لهُ عِندَ والِدِهِ؛ لأن والدَهُ كان ضِمن فريقِ الدَّعمِ اللوجِستيّ، إلا أنَّها كانت تخافُ عليهِ كثيراً، فقالت له: «بُنيّ، ما تزال صغيراً، أكمِل دراستَكَ، والحياةُ أمامَك»، فيردُّ علَيها: «أُمّاهُ، هل نَسيتي القاسِمَ بنَ الإمامِ الحَسنِ عليه السلام، حين سَمِعَ نِداءَ إمامِهِ كيفَ لبَّى النِّداءَ وهو لم يبلغْ الحُلُم، إدعِ لي بالتوفيقِ ونيلِ الشَّهادَةِ؛ فإنَّ لي حُلماً يراودني ليلاً ونهاراً، وتكادُ أنفاسي تنقطِعُ كلَّما فكَّرتُ بتفويتِ هذهِ الفرصَة، أريدُ أنْ أشارِكَ إخوتي المجاهِدينَ في تحريرِ الوَطنِ مِن الأرجاسِ».

تَنقُلُ والدَتُهُ قائلةً: «قبلَ أنْ يلتحقَ (عليّ) بصُفُوفِ المجاهدينَ، رأى في المنامِ كأنَّ أطفالَ الإمامِ الحُسين عليه السلام يستغيثونَ وينادونَ: هل تقبلون أن تُسبى عمّتُنا زينبُ مَرَّتين؟».

هذا المنامُ أشعَلَ بداخلِهِ العَزيمةَ والإصرارَ، ومضت الأيَّامُ، ووفِّق السَّيِّدُ (عليّ) في الالتحاقِ بإخوتِهِ في الدِّعمِ اللُّوجستيّ، ثمَّ تَدَرَّبَ في معسكراتٍ داخل (بغداد)، وشارَكَ مع إخوتِهِ المجاهدينَ في (جُرفِ الصَّخرِ)، و(سامراء)



و(الموصِل)، وكانت محطَّتُهُ الأخيرةُ مَنطَقَةَ (الرُّطبة).

يَذكُرُ أحدُ المجاهدينَ: حِين عُدنا مِن أحدِ الهجَماتِ، وكانت السَّاعةُ تمام الثانيةَ عَشرة ليلاً، وكُنَّا وَقتَها نَشعُرُ بالتَّعَبِ الشَّديدِ؛ فقد قَضينا يومين بدونِ أكلٍ ولا نومٍ، وكانَ الجوُّ بارداً جدّاً، قالَ عليٌّ: «لنتوضَّأ ونصلِّي صلاةَ الليلِ»، فقال له بعض رفاقه: «لننمَ؛ كي نستريحَ قليلاً»، فأجابَهم: «حلاوتُها الآن، فالسَّيدةُ زينبُ بيومِ العاشِرِ من المحرَّمِ ورُغمَ ما بها من آلامٍ ومتاعِبَ لم تترك صلاةَ الليلِ».

انقطَعَت أخبارُهُ عن أهلِهِ قُرابَة أربعةَ عَشَرَ يوماً، تقولُ والِدَتُهُ: «نِمتُ قَليلاً فرأيتُ (عليّاً) في المنامِ، وهو ينادي: (أمّاه... أمّاه)»، وفي هذه الأثناء-أيضاً- جاءَ لأختِهِ في المنامِ وكأنَّ شكلَهُ يختلِفُ عمَّا هو عليهِ.

- فقال لي: «جئتُ لأُسَلِّمَ على أبي وأمّي».

- قلتُ لَهُ: «خُذْ حَقيبتَكَ».

فتبسَّمَ، وقالَ: «هذهِ المرَّة لن أذهبَ إلى الجبهة، وإنّما أنا ذاهِبٌ إلى الجنَّةِ».

وتبيَّنَ بعدَ ذلكَ أنَّ هذا الوقتَ كان وقتَ استشهادِهِ في المستشفى.

تنقلُ لنا والدَتُهُ فتَقولُ: «بَعدَ أن رأيتَهُ في المنامِ، استيقظتُ، فصلَّيتُ، ودَعوتُ لَه ولجميعِ المجاهدينَ، وعندَما تصفَّحتُ الأخبارَ، رأيتُ خَبَرَ هجومٍ على قاطعِ (الرُّطبة)، وسقوطِ العَديدِ مِن الشُّهداءِ؛ فأصابَني القَلقُ والخَوفُ عليه، وإذا بالهاتِفِ يَرِنُّ؛ ليُخبِرُنا باستشهادِهِ في ليلةِ الجُمعةِ (٢٠١٧/٦/٣٠م)».

هنيئاً لَهُ الشَّهادَة في سبيلِ اللهِ، واللُّحوقِ بِركبِ الشُّهداءِ السُّعداءِ، الَّذين ارتقَوا نُجوماً في السَّماءِ.

الهوامش

١- الإرشاد، المفيد:٨٢/٢.

٢- في لقاء توثيقي مع والدة الشهيد علي.

التِفاتة

سلالمُ الألق

بينَ الألقِ والمخطوطات أعمقُ الروابط، وأقوى الصِلات فمنذُ أنْ عرفَ الإنسان الكتابةَ حملتْ الكلمةُ علومَه ومآثرهُ وأيام حياتهِ، حتى أنَّ التدوين والارتقاء البشري أخذا يسيران جنباً إلى جنب في خطينِ متوازيين، فما مِن خُطوةٍ يخطوها القلمُ إلى أمام ، إلا ويرافقها نماءٌ في جوانب الحياة ؛ لذا جَهد الإنسانُ في أن يخلّدَ وجودَهُ في صفحات التاريخ منذ القدم، فراح يحفرُ على الطينِ أو ينقشُ على الحجرِ، ويخترع بين مدة وأخرى وسيلة متطورة من وسائل الكتابة حتى إذا ما ظهر الإسلام صار القلم وسيلة من وسائل نشر الدين الجديد، فنما التدوين، وظهر الوارقون والوراقة.

وبناءً على هذا، كثُر المخطوط، وتبعَهُ جهد(التحقيق) الذي لا يقلّ عنه أهمية اذْ لولاه ما وصلتْ إلينا أنوار المعرفة، ولا وقعت بين ايدينا ثمارُ المنفعة.

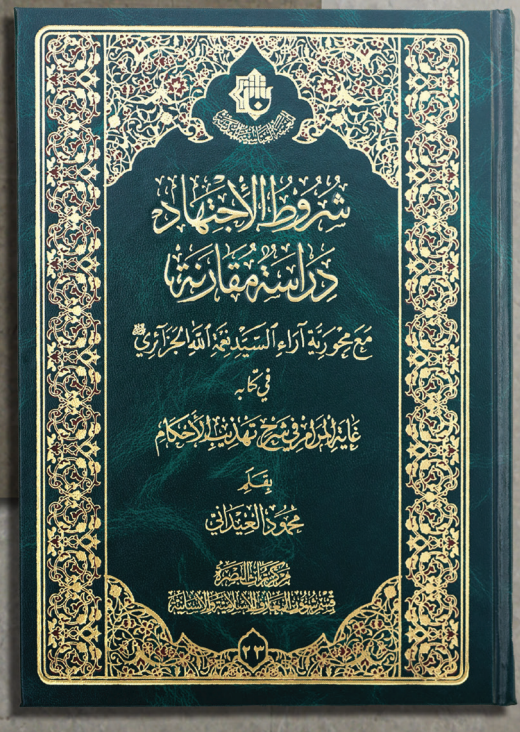
ولا شكّ في أنّ المدنَ تتفاوت بما لديها من كنوز المخطوطات، والحمد لله على أنَّ مدينتنا تنعم بأعدادٍ كبيرةٍ من المخطوطات تعكس مكانتها العلمية، وعلو مرتبتها الثقافية، ومازالت الجهود تتوالى في فهرستها وتصنيفها وتنظيمها بما يجعل طريق وصول الباحثين إليها ميسوراً، من غير عناء، ولعلّ العدد الكبير من تلك المخطوطات التي في حوزة مركز تراث البصرة التابع لقسم المعارف في العتبة العباسية المقدسة لدليل قاطع على تلك الثروة التي تحظى بها البصرة، و ما يتوجب اليوم هو أن تكون هناك حملة كبيرة، وجهدٌ مضاعف لمقاربة تلك المخطوطات التي هي بحق سلالم ألقٍ، ومصابيح هدايةٍ ، وأخيراً نأمل أن تكون هناك التفاتة من المراكز البحثية والمؤسسات المعنية بالتراث البصري ومن لهم دراية بهذا الأمر أن يبادروا في تلك المقاربة لوضع الغرسِ في محله الحقيقي، ومن أجل أن يكون الجني دانياً من المنتفعين

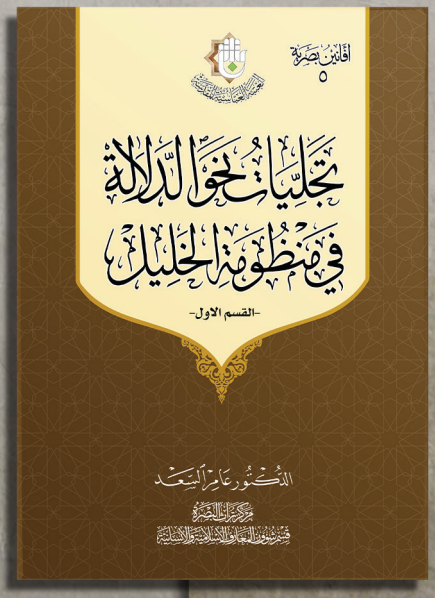
• مدير التحرير



إحدى لوحات الفنّان رعد الحجّاج تمثّل امرأةً بصريّة تحمل نوعاً
من أنواع الخبز يسمّى (خبز السّياح)

من إصدارات
مركز تُراث البصرة





تواصل معنا